
تعظیم اولیاء اللّه
یعقوب جعفری

بسم الله الرحمن الرحیم

تعظیم اولیاء اللّٰه

کاتب:

یعقوب جعفری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

تعظیم اولیاء اللّه

اشارة

سرشناسه : جعفری، یعقوب، ۱۳۲۵ –
عنوان قراردادی : بزرگداشت اولیای خدا. عربی
عنوان و نام پدیدآور : تعظیم اولیاءالله/ تالیف یعقوب جعفری؛ تعریب اسعد الکعبی.
مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر، ۱۳۹۱.
مشخصات ظاهری : ۹۲ ص.
شابک : ۵-۴۲۷-۵۴۰-۹۶۴-۹۷۸
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : عربی.
موضوع : اولیا -- کرامتها
موضوع : اولیا
شناسه افزوده : کعبی، اسعد، ۱۳۴۹، – مترجم
رده بندی کنگره : BP۲۲۶/۶/ج۷ب۴۰۴۳ ۱۳۹۱
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۶۸
شماره کتابشناسی ملی : ۳۰۵۶۹۶۴
ص: ۱

اشارة

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

كلمة المعهد

ص: ۵

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيّدنا محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين

من خصائص كتاب الله العزيز أنّه كتابٌ تربويٌّ يهدف إلى تربية الإنسان المتديّن تربيةً صالحةً، حيث يتضمّن أساليب مختلفة لتحقيق هذا الهدف، منها تذكيره بالأنبياء والمرسلين وأولياء الله الصالحين الذين كان لهم دورٌ كبيرٌ فى تربية الناس على مرّ العصور.

فقد أكّد البارئ تبارك وتعالى على كرامة أنبيائه وأوليائه وتطرّق إلى بيان فضائلهم فى الكثير من آيات كتابه العزيز، حيث خاطب نبيّنا الكريم۹ قائلاً: (وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً)، (سورة مريم: الآية ۴۱). وكذلك أمره بذكر السيّدة مريم فى [سورة مريم : الآية ۱۶]، النبىّ موسى [سورة مريم : الآية ۵۱]، النبىّ إدريس [سورة مريم : الآية ۵۶]، النبىّ داود [سورة ص : الآية ۱۷]، النبىّ أيّوب [سورة ص : الآية ۴۱]؛ وغير ذلك من آياتٍ. ونلاحظ أنّه تعالى قد بيّن الأسباب الكامنة وراء ضرورة ذكر أنبيائه وأوليائه الصالحين فى بعض تلك الآيات، منها قوله: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا ت

ص: ۶

َعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله)، (سورة الممتحنة: الآية ۴).

ومن هـذا المنطلق، لم ينفـكّ المسـلمون طوال التأريـخ وفى شتّى المناسـبات عن إجلالـ أوليـاء الله تعـالى وذكر فضـائلهم وخصـالهم الحميـدة التى تجسّـدت فى أسـمى المفـاهيم الأخلاقيّـة، كـالعفو والإيثـار والشـجاعة، وذلـك من أجـل رفعـة الإسـلام وإعلاء كلمته. وكذلك فإنّهم يقصدون أضرحتهم المقدّسة فى كلّ آنٍ ومكانٍ ويُحيون ذكراهم الخالدة.

لكن هناك بعض المتحجّرين يعتقـدون بأنّ إجلال أولياء الله تعالى وتوقيرهم بدعـةٌ! وهؤلاء فى الحقيقة لا يعملون بتعاليم شـريعة ديننا الحنيـف ولاـ يعيرون أهميّـةً لآـدابه وطقـوسه، وكـذلك فـإنّ الجهـل قـد أعمى عيونهم،حيث يكفّرون من يقوم بـذلك من المسـلمين ويتّهمونه بالشرك!

لـذلك قـام البـاحث الكريم السيّد يعقوب الجعفرىّ بـدحض هـذه التهمـة الواهيـة ونقضـها دفاعـاً عن عباد الله الموحّـدين وعقائـدهم الصحيحة، اعتماداً على النصوص الدينيّة المعتبرة؛ إذ أثبت للقرّاء الكرام بأنّ هذا الإجلال والتوقير سنّةٌ يُثاب العبد عليها.

ويتقـدّم معهد الحجّ والزيارة بالشـكر الجزيل والتقدير للباحث الكريم الذى دوّن هذا النتاج القيّم، وللمترجم المحترم الذى ترجمه إلى اللّغة العربيّة، راجين من البارئ جلّ وعلا أن يكون نبراساً يستنير به من يروم استقصاء الحقّ ومعرفة أهله.

إنّه ولىّ التوفيق

معهد الحجّ والزيارة

قسم الكلام والمعارف

مقدمة الكتاب

ص: ۷

إنّ معرفهٔ أولیاء الله تعالی ومودّتهم لها نتائج تربویّهٔ عظیمهٔ، فبرکهٔ هذه المعرفهٔ تُحیی روح کلّ إنسانٍ یروم الوصول إلی الحقیقهٔ وتجعله بمصافّ خیر خلق الله إیماناً فیسیر برکبهم. إنّ إجلال أولیاء الله تعالی وعباده الصالحین ومودّتهم یُعتبر توقیراً للقیَم الدینیّهٔ والمبادئ التوحیدیّهٔ، وبالتّالی سیکون سبباً لرسوخ الإیمان والتقوی فی نفس العبد.

ومن أجل التمکّن من نیل أفضل الدرجات المعنویّهٔ، ینبغی لکلّ عبدٍ

أن یتقرّب لأولیاء الله والصّالحین الذین یتمتّعون بدرجاتٍ رفیعهٍ عند

ربّ العالمین، وعلیه أن لا یتخلّف عنهم أبداً. فهذا الإرتباط الروحی

یُذکّر الإنسان بالقیَم والأُصول والتعالیم التی کانت محور دعوهٔ

أولئک الأولیاء والصّالحین. فإذا أراد العبد نیل قربٍ معنویٍّ من عباد الله الصالحین ورام إیجاد صلهٍ وثیقهٍ بهم، لا بدّله أوّلاً أن تشغل محبّتهم حیّزاً فی قلبه لدرجهٔ تکون جزءاً من حیاته ولا تفارقه حتّی مماته. فهذه المحبّهٔ فی الحقیقهٔ هی محبّهٔ إلهیهٔ، فقد وعد ـ سبحانه ـ عبادَه المؤمنین بتکریمهم بها،

إذ قال فی کتابه الکریم: (إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَیَجْعَلُ لَهُمُ

ص: ۸

الرَّحْمَنُ وُدّاً). (۱)

وحيث إنّ المحبّـة أمرٌ باطنيٌّ، فعنـد إرادة إظهارها على الجوارح لا بـدّ من اللّجوء لأساليب وأعمال خاصّـة متعارفـة عنـد العقلاء، وفى نفس الوقت يجب ترك الأساليب التى نهى عنها الشرع مهما كانت. فهذه الأعمال التى كانت ولازالت متعارفة عند العقلاء تتجلّى فى طلب البركـة منهم والتوسّـل بهم وطلب الشـفاعة والعون منهم، وكـذلك ذكرهم وزيـارة مراقـدهم؛ فهـذه الأُمور تعتـبر علامـاتٍ على محبّتهم والارتباط القلبى بهم.

عزيزى القارئ، لقـد أثبتنا شـرعيّةَ هـذه الأعمال ورُجحانَها فى هذا الكتيّب معتمدين على ما جاء فى كلام الله تبارك وتعالى وما حوته المصادر الإسـلاميّة من سـنّة نبيّنا الكريم وما نقله لنا التأريـخ من سـيرة الصـحابة والتابعين، كما أثبتنا أنّ الهـدف من وراء هذه الأعمال ليس سوى محبّـة مَن أوجب الله علينـا محبّتهم. ونلاحـظ أنّ كـلّ مسـلمٍ متحرّرٍ من قيود التعصّب الأـعمى إذا مـا وضع كتاب الله تعالى وسنّة رسوله۹ بين يـديه اكتفى بهمـا، وغضّ النظر عمّـا يتفوّه به هـذا وذاك من أقاويل تنمُّ عن حقـدٍ وافتراء، فسوف يُـدرك الحقيقة بكلّ يسـرٍ ووضوحٍ وسـيتبيّن له أنّ ادّعاء زمرةٍ من الذين يعتبرون إجلال أولياء الله شركاً مجرّد كلامٍ فارغٍ لا أساس له، بل إنّه مخالفٌ لكلام الله وسنّة نبيّه وسيرة السلف الصالح.

نرجو من الله العلىّ القـدير أن يجعـل هـذا الكتيّب قبساً يُنير أذهـان إخواننـا المسـلمين الـذين تـأثّروا بادّعـاءات زُمرٍ متطرّفـةٍ ما انفكّت تحضّهم على نسبة الشرك لاخوانهم فى الدين، وتنسب إليهم الضلال ظلماً وبهتاناً وتدعوهم

۱- سورة مريم، الآية ۹۶.

ص: ۹

للابتعاد عنهم. ونأمل من ربّ العزّة والجلالة أن تنكشف الحقيقة للجميع بوضوحٍ ويزول غبَش الغيّ والإفك لكى يعرفوا أنّ مودّة أولياء الله وإجلالهم ليست إلا مواكبة واتّباعاً للذين هداهم ربّنا العظيم وأنّ التمسّك بهم نجاة من الضلال والهلاك فى الدنيا والآخرة، إذ قال تعالى: (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ). (۱)

يعقوب جعفرى

المبحث الأول: من هم أولياء اللّه؟

۱- سورة الأنعام، الآية ۹۰.

ص: ۱۰

ص: ١١

منـذ أن أُخرج آدم من الجنّة ووطأ الأرض بقـدميه، كان لا بـدّ له من تحمّل فراق وهجران بارئه، لكنّ البارئ تعالى لم يتركه وذريّته هملًا أبداً، حيث توالت الرّسل والأنبياء وأُنزلت الكتب السـماويّة لإبلاغ أحكام وتعاليم الدين، وذلك ليؤكّد لهم وجوب عبادته وحده دون شريك.

إزاء هذه الدعوة الشاملة انقسم أولاد آدم إلى فريقين، فمنهم مَن أدبر عنها وسـلك سبيل الشيطان، ومنهم مَن رحّب بها أفضل ترحيبٍ وأدرك أنّ الهـدف من الخلقـة هو عبـادة الله الواحـد الأحـد، فسـار على هـذا المنهاج؛ فهـذه هى سـيرة أولياء الله الـذين أخرجهم من الظلمات إلى نور الهداية. وكما أنّ النور له درجات من الشدّة والضـعف، كذلك هو الحال بالنسبة لمحبّة الله عزّ وجلّ، إذ لها درجات ومراتب مختلفة. أمّا عباد الله الذين نالوا أرقى درجاتها، فقد خصّهم تعالى بمقام الولاية الرفيع وهم الذين نطلق عليهم اسم «أولياء الله»، إذ وصفهم تعالى فى كتابه الكريم قائلًا: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

ص: ۱۲

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْـرَى فِى الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). (۱)

ولا نرى بأساً من أن نشير إلى بعض الحقائق التى أكّد الله تعالى عليها فى هذه الآيات الكريمة، فيما يلى:

۱ ـ إنّ «الخوف» من المستقبل و«الأسى» على ما مضى أمران لا ينتابان أولياء الله أبداً، لأنّهم يحظون بالأمن والطمأنينة، وهذا الأمر يعتبر من أهمّ آثار الإيمان بالله تعالى.

۲ ـ نال أولياء الله مقام الولاية لخصلتين اتّصفا بهما، وهما: الإيمان والتقوى الراسخَين فى أنفسهم طوال حياتهم. ومن الجدير بالذكر أن قوله تعالى: (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) يدلّ على الاستمرار بالتقوى.

۳ ـ لأولياء الله تعالى مقام «البشرى» فى الدنيا والآخرة. فالبشرى فى الآخرة تعنى تكريمهم بنعم الله تعالى ودخولهم الجنة، وفى الدنيا تعنى الصلة الخاصّة بينهم وبين بارئهم جلّ وعلا، حيث جاء ذكرها فى الأحاديث تحت عنوان «المبشّرات». رُوى عن رسول الله ۹ فى تفسير الآية الكريمة: (لَهُمُ الْبُشْرَى فِى الْحَياةِ الدُّنْيا) أنّه قال: «الرؤيا الصّالحة يبشَّر بها المؤمن جزء من ستةٍ وأربعين جزءاً من النبوّة». (۲)

وكذلك قال صلوات الله عليه: «إنّ الرسالة والنبوّة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبىّ، ولكنّ المبشّرات.

قالوا: يا رسول الله، وما المبشّرات؟

۱- سورة يونس، الآيات ۶۲ ، ۶۳ ، ۶۴.

۲- تفسير الطبرى، ج۷، ص۱۳۷.

ص: ۱۳

قال: رؤيا المسلم وهى جزء من أجزاء النبوّة». (۱)

لا ـ ريب فى أنّ كلمة «المسلم» الواردة فى الحديث الشريف لا ـ تشمل أىَّ مسلم، بل تعنى أولياء الله تعالى فحسب، بدلالة الآية المذكورة آنفاً وسائر الروايات.

۴ ـ المقام الذى وهبه الله لأوليائه لا زوال ولا تبديل له، حاله حال سائر سننه تعالى، إذ قال جلّ شأنه: (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ). (۲)

۵ ـ إنّ هذا المقام هو فوزٌ وفلاحٌ ومقامٌ عظيمٌ لا يناله إلا ذو حظٍّ عظيم.

ففى تفسير الآية المباركة: (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (۳) لبيان مَن هم أولياء الله، هناك روايات كثيرة نُقلت عن رسول الله۹ نكتفى بذكر مثالٍ واحدٍ منها. فقد قال رسول الله ۹: «إنّ مِن عبادِ الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء.

قيل: مَن هم يا رسول الله؟ فلعلّنا نحبّهم!

قال: قومٌ تحابّوا فى الله من غير أموالٍ ولا أنسابٍ. وجوههم من نورٍ، على منابر من نورٍ، لا يخافون إذا خاف النّاس ولا يحزنون إذا حزن النّاس. وقرأ: (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)». (۴)

إذن، نستلهم من الحديث أعلاه أنّ مقام أولياء الله أسمى من مقام أنبيائه وشهدائه، لدرجة أنّ أنبياء الله وشهداءه يغبطونهم على مقامهم هذا.

وهناك معنىً آخر نستوحيه من نفس الحديث، ألا وهو أنّ أولياء الله بهذه

۱- الدرّ المنثور، ج۴، ص۳۷۶.

۲- سورة يونس، الآية ۶۴.

۳- سورة يونس، الآية ۶۲.

۴- تفسير الطبرى، ج۷، ص۱۳۲.

ص: ۱۴

الأوصاف والخصال لا يختصّون بعصرٍ وزمانٍ بالتحديد، بل يمكن لنا أن نجدهم فى العصور والأزمنة كافّة، ولكنّ المشكلة تكمن فى تمييزهم وتشخيصهم عن سائر النّاس، فهذا الأمر ليس بالهيّن. فإنّ الآية الشريفة التى ذُكرت فى الحديث تشير إلى أنّ أولياء الله لا تنفكّ حياتهم عن الإيمان وتقوى الله أبداً، إلا أنّ تشخيص مَن يقضى حياته متّقياً خائفاً من الله تعالى ومجتنباً المحرّمات والمعاصى منذ بداية تكليفه حتّى آخر عمره يُعتبر أمراً صعباً أو محالاً بالنسبة لنا؛ لأنّ هذه الأُمور باطنيّة لا يعلمها إلا الله وصاحبها. ولكن إذا ما أخبرنا الله تعالى بأشخاصٍ محدّدين يتحلّون بهذه الخصال الحميدة، حينها يتوجّب علينا أن نعتبرهم أولياء له تعالى باطمئنانٍ ويقينٍ.

وممّا لا يقبل الشكّ والترديد أنّ الله تعالى قد أخبرنا فى كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: إنّ أهل بيت النبىّ ٩ يتحلّون بهذه الخصال الحميدة، فهم منزّهون من أىّ رجسٍ ومعصيةٍ ومطهّرون من جميع النواحى، تطهيراً تعلّقت به إرادة الله تعالى. وهذا هو معنى التقوى الدائمية التى أخبر الله سبحانه بعدم إنفكاكها عن أهل بيت النبى٩. فقد قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً). (۱)

الآن علينا أن نتحرّى عن أهل بيت النبىّ ٩ الذين ذكرهم القرآن الكريم فى هذه الآية، فيا تُرى مَن هم؟

بالطبع هناك أحاديث كثيرة قد يصل بعضها حدّ التواتر، عرّف فيها نبيّنا الكريم أهل بيته، ونذكر منها حديثين على سبيل المثال:

۱- سورة الأحزاب، الآية ۳۳.

ص: ۱۵

الحديث الأوّل: «نزلت هذه الآية: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) فى بيت أُم سلمة، فدعا النبىّ فاطمةَ وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساءٍ وعليٌّ خلفَ ظهره فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أهلُ بيتى فأذهِب عنهُمُ الرِّجْسَ وطهِّرهُمْ تطهيرًا»، قالتْ أُمُّ سلمةَ: وأنا معهُمْ يا نبىَّ الله؟ قالَ: «أنتِ على مكانِكِ وأنتِ على خيْرٍ». (۱)

الحديث الثّانى: «عن عائشة قالت: خرجَ النبىُّ غداةً وعليه مرط مرحّل من شعرٍ أسودٍ، فجاءَ الحسن بن علىٍّ فأدخَلَه، ثُمَّ جاءَ الحسين فأدخله، ثُمَّ جاءتْ فاطمةُ فأدخلَها، ثُمَّ جاءَ علىٌّ فأدخله، ثُمَّ قالَ: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)». (۲)

لو أخذنا هاذين الحديثين بنظر الاعتبار إضافةً إلى أحاديث كثيرة أُخرى وردت بهذا الشأن، سيتأكّد لنا أنّ المراد من «أهل البيت» فى آية التطهير هم: علىّ وفاطمة والحسن والحسين:. يُذكر أنّ هذه الآية تقع بين الآيات التى خاطبت نساء النبىّ۹، إلا أنّ الضمائر التى جاءت فى تلك الآيات هى بصيغة الجمع المؤنّث، والضمائر فى آية التطهير جاءت بصيغة الجمع المذكّر، وهذا دليلٌ على أنّ المخاطب فى هذه الآية ليس نفسه فى الآيات الأُخرى. فيتّضح لنا من خلال هذه القرينة ومن أحاديث أُخرى كثيرة ذكرنا امثلةً منها: أنّ المخاطبين فى آية التطهير هم: النبىّ محمّد وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين:، وأنّ هؤلاء الأطهار عندما يخبروننا بآخرين من ذراريهم كونهم من «أهل البيت» فسوف نقبل ذلك دونما أىّ تردّدٍ، وذلك لأنّهم وحسب فحوى

۱- سنن الترمذى، ج۵، ص۶۶۳.

۲- صحيح مسلم، ج۷، ص ۱۳۰.

ص: ۱۶

الآیهٔ الشریفهٔ لا یکذبون البتّهٔ، إذ الکذب رجسٌ عظیمٌ وهم مطهّرون من الرّجس تطهیراً.

فیتبیّن لنا أنّه بالإمکان أن نجد أولیاء الله الذین أشار إلیهم القرآن الکریم فی کلّ زمانٍ، إلا أنّ معرفتهم بالنسبهٔ لنا أمرٌ صعبٌ أو مستحیل ما لم یعرّفهم لنا الله تعالی أو نبیّه الکریم۹. وقد ذکر الله تعالی فی آیهٔ التطهیر أوصافاً لأهل بیت النبیّ۹ تنطبق مع أوصاف أولیائه الصالحین التی ذکرها فی الآیهٔ الأُخری، لذلک فإنّ أهل البیت هم أجلی مصداقٍ لأولیاء الله.

لقد أکّدت الکثیر من الأحادیث علی أنّ محبّهٔ رسول الله۹ وأهل بیته هی من شروط الإیمان، إذ رُوی عن أنس قوله: «قالَ النبیّ: لَا یؤمنُ أحدُکم حتّی أکونَ أحبَّ إلیه من والده ووُلده أجمعین». (۱)

ورُوی عن أبی سعید الخدری قوله: «قال رسول الله: إنّ لله عزّ وجلّ حُرماتٍ ثلاثاً مَن حفظهنّ حفظ الله له أمر دینه ودنیاه، ومَن لم یحفظهنّ لم یحفظ الله له شیئاً؛ حرمهٔ الإسلام وحرمتی وحرمهٔ رحمی». (۲)

ورُوی عن الحسن بن علیّ۷ أنّ رسول الله۹ قال: «الزموا مودّتنا أهل البیت، فإنّه مَن لقی الله عزّ وجلّ وهو یودّنا دخل الجنّهٔ بشفاعتنا. والذی نفسی بیده، لا ینفع عبداً عمله إلا بمعرفهٔ حقّنا». (۳)

المبحث الثانی: التوسل بأولیاء اللّه

اشارهٔ

۱- صحیح البخاری، ج۱، ص۱۷.

۲- المعجم الکبیر للطبرانی، ج۳، ص۱۳۵.

۳- مجمع الزوائد، ج۹، ص۱۷۲.

ص: ۱۷

لا ـ ریب فی أنّ اللّجوء للأولیاء الصّالحین الـذین رفعهم الله مقاماً علیّاً وفتـح لهم أبواب رحمته، واتّخـاذهم وسیلةً للتقرّب إلیه تعالی بخضوعٍ وخشوعٍ وتذلّلٍ أو لطلب المراد منه، یعتبر عملًا حسـناً یحبّه الله، لأنّه یؤدّی إلی ترسیخ الصـلة بین العبد وربّه. ولابدّ من القول إنّ ارتبـاط ابن آدم الـذی خُلـق من ترابٍ بـذی العزّة والجلالـة دون واسطةٍ هو أمرٌ غیر ممکنٍ، فنحن نری أن الرسالات السـماویّة قد وصلت للبشر بواسطة أفراد معیّنین وهم أنبیاء الله الکرام، إذ لم یُخاطب الربّ عموم عبادِه بشکلٍ مباشرٍ أبداً.

فالإنسـان لا ـ یسـتطیع أن یرتبـط بـالله تعالی دون وسـیلةٍ أو واسـطةٍ؛ وهـذه الوسـیلة إمّا أن تکون عملًا عبادیّاً کالصـلاة والصـیام وسائر العبادات، وإمّا أن تکون عبداً صالحاً من المقرّبین کأولیاء الله الذین تحدّثنا عنهم. وهذا المفهوم نراه جلیّاً فی آیات الکتاب العزیز التی إن تدبّرناها سنُدرک حقیقة الأمر.

التوسّل فی الکتاب العزیز

ص: ۱۸

إلیک عزیزی القارئ بعض هذه الآیات:

۱ ـ (یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَابْتَغُواْ إِلَیهِ الْوَسِیلَةَ وَجَاهِدُواْ فِی سَبِیلِهِ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ). (۱)

فی هذه الآیة المبارکة یأمر الله تعالی عبادَه المؤمنین باتّخاذ وسیلة للتقرّب إلیه. طبعاً لم تُحدّد الوسیلة هنا، لکن من المعلوم أنّها یمکن أن تکون کلّ ما یرضاه الله تعالی. فهی من الممکن أن تکون شیئاً کالکعبة والحجر الأسود والقرآن الکریم، ومن الممکن أن تکون عملًا کالصلاة والحج والجهاد، ومن الممکن أن تکون ترکاً کالصیام، ومن الممکن أن تکون شخصاً کأولیاء الله وأنبیائه والصالحین من عباده والشهداء؛ فالنتیجة هی أنّ العبد یمکنه اتّخاذ کلّ وسیلةٍ من شأنها أن تقرّبه إلی الله تعالی وتُذکّره به، وأولیاء الله هم جزء من الوسائل التی تقرّب العبد من الرّب کما جاء فی الأحادیث الشریفة. قال سعید بن جبیر: «سُئِل النبیّ عن أولیاء الله، قال: هم الذین إذا رُؤوا ذُکر الله». (۲)

۲ ـ (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِیعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ). (۳)

یا تُری، ما المراد من «حبل الله» فی هذه الآیة؟ بالتأکید لا یُراد به ذات الله تعالی، بل المراد شیء آخر لأنّ حبل الله لیس من أسمائه تعالی. إذن، ما هو حبل الله؟ هل هو القرآن أو الإسلام؟ هل هو النبیّ وحده أو النبیّ وأئمة المسلمین؟ أو أنّه کافّة ما ذُکر؟ وأیّاً کان هذا الحبل، فهو عبارة عن واسطة

۱- سورة المائدة، الآیة ۳۵.

۲- تفسیر الطبری، ج۷، ص۱۳۲.

۳- سورة آل عمران، الآیة ۱۰۳.

ص: ۱۹

ارتباطٍ بین النّاس وربّهم. وکما نعلم فإنّ أولیاء الله هم أجلی مصادیق حبل الله، والتوسّلُ بهم لا محالـة یقرّبنا منه تعالی، والتمسّک بهم سینجینا من عذابه یوم الحساب.

۳ ـ (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوکَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّاباً رَّحِیماً). (۱)

فی هـذه الآیـة المبارکـة یوصـی الله تعـالی عبـاده الـذین یریـدون اسـتغفاره وطلب التوبـة منه بأن یلتجئوا إلی نبیّه الکریم. فإضافـة إلی اسـتغفارهم بأنفسـهم، علیهم أیضـاً أن یتّخـذوا النبیّ واسـطةً لیطلب لهم المغفرة من الله تعالی؛ ففی هـذه الحالـة سـیکون احتمال قبول توبتهم أکثر. فی الحقیقة إنّ هذه الوصـیّة من قِبله تعالی تعتبر أبرز دلیلٍ علی مشـروعیّة وضـرورة التوسّل برسول الله۹ واتّخاذه واسطةً، لأنّ الله هو الذی علّم ذلک للعباد وأوصاهم به، فهذه الآیة تصرّح بجواز التوسّل بغیر الله تعالی بوضوحٍ. وسوف نُثبت لاحقاً أنّ التوسّل لا یختصّ بزمان حیاة النبیّ۹ فحسب بل هو ممکن حتّی بعد وفاته، معتمدین علی الأحادیث الصحیحةً التی سنذکرها.

التوسّل فی الأحادیث

لقد أکّدت الکثیر من الأحادیث مشروعیة التوسّل بأولیاء الله واتّخاذهم وسائط للتقرّب إلیه تعالی ولطلب الحاجة منه، الأمر الذی جرت علیه سیرة المسـلمین منذ عهد رسول الله حتّی عصـرنا الحاضـر، وهذا الأمر بالتأکید لیس فقط منافیاً للشرک، بل هو أمرٌ یتمّ من خلاله حصول أجلی حالات التضرّع

۱- سورة النساء، الآیة ۶۴.

ص: ۲۰

والخشوع للبارئ جلّ وعلا، وأنّ العبد الذی یجعل النبیّ أو أولیاء الله وسیلةً لتقرّبه، هو فی الحقیقة یتواضع ویتذلّل لله غایة التذلّل إذ لا یری نفسه شیئاً أمام عظمة الخالق. فهذا العبد سیجعل الأولیاء الصالحین الذین لهم شأن عند الله واسطةً له کی یُستجاب دعاؤه ببرکتهم وبفضلهم عند الربّ فیشمله بلطفه ورحمته الواسعة، وهذه العبودیة فی الواقع هی غایة الخضوع والخشوع وخلوص النیّة لله الواحد الأحد.

ولإثبات ذلک، سوف نتناول بعض الأحادیث التی تدلّ علی المدّعی فیما یلی:

۱ ـ عن عثمان بن حنیف قال: «إنّ رجلاً ضریراً أتی النبیّ، فقال: ادعُ الله أن یعافینی.

فقال: إن شئتَ دعوتُ، وإن شئتَ صبرت وهو خیر.

فقال: فادعه.

فأمره أن یتوضّأ فیُحسن وضوءه ویُصلّی رکعتین ویدعو بهذا الدعاء:

اللهم إنّی أسألک وأتوجّه إلیک بنبیّک نبیّ الرحمة، یا محمّد إنّی أتوجّه بک إلی ربّی فی حاجتی لتُقضی، اللهمّ شفّعه فیَّ.

قال ابن حنیف: فوَالله ما تفرّقنا وطال بنا الحدیث حتّی دخل علینا کأن لم یکن به ضُرٌّ». (۱) قال الترمذی وابن ماجه والحاکم إنّ هذا الحدیث صحیحٌ.

نلاحظ فی هذا الحدیث أنّ النبیّ۹ نفسه علّم هذا الضریر کیفیّة التوسّل عندما یطلب حاجةً من الله تعالی، وهذا التوسّل یکون تارةً بالله عزّ وجلّ وأُخری به صلوات الله علیه. ولا ریب أنّ فحوی الحدیث واضحٌ ولا یحتاج

۱- سنن ابن ماجه، ج۱، ص۴۴۱؛ مستدرک الحاکم، ج۱، ص۳۱۳.

ص: ۲۱

إلی التفسیر والتأویل، إذ نستلهم منه إمکانیّة التوسّل بالنبیّ۹ حین حیاته، وسنُثبت لاحقاً صحّة التوسّل به بعد مماته أیضاً.

ونلاحظ فی هـذا الحدیث أیضاً أنّ النبیّ۹ لم یـدعُ لهـذا الرجـل، بل علّمه دعاءاً ففعل، وطلب حاجته من الله، حیث جعل النبیّ۹ وسیلةً بینه وبین الله تعالی.

۲ـ رُوی عن جابر بن عبدالله أنّ رسول الله۹ قال: «مَن قال حین یسمع النّداء: «اللّهم ربّ هـذه الـدّعوة التّامة والصلواتِ القائمة آتِ محمّداً الوسیلةَ والفضیلةَ وابعثْه المقامَ المحمودَ الذی وعدته»، حلّت له شفاعتی یوم القیامة». (۱)

کما هو واضحٌ من منطوق الحدیث الشریف فإنّ رسول الله یشجّع المسلمین ویحفّزهم علی اتّخاذه واسطةً بینهم وبین الله تعالی.

۳ـ رُوی عن أبی سعید الخدری أنّ رسول الله قال: «ما خرجَ رجلٌ من بیته إلی الصّلاة وقال: «اللّهم أسألکَ بحقّ السّائلین علیک وبحقّ مَمْشایَ هذا، فإنّی لم أخرُج أشِـَراً ولا بطِراً ولا ریاءاً ولا سمعةً، وخرجتُ اتّقاء سخَطک وابتغاء مرضاتک؛ فأسألک أن تُعیذنی من النّار وأن تغفر ذنوبی، إنّه لا یغفر الذنوب إلا أنت»، إلا أقبلَ الله علیه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملَکٍ». (۲)

فی هذا الحدیث، ینصحنا نبیّنا الکریم۹ أن نتوسّل بـ «السّائلین عندالله» الـذین هم أولیاء الله والصّالحون من عباده وأن نجعلهم واسطةً إلیه تعالی عند طلب الحوائج.

۴ـ عندما تُوفّیت السیّدة فاطمة بنت أسد، دعا لها رسول الله عند

۱- صحیح البخاری، ج۱، ص۲۵۳.

۲- سنن ابن ماجه، ج۱، ص۲۶۱.

ص: ۲۲

دفنها بهذا الدعاء: «الله الذی یُحیی ویُمیت وهو حیٌّ لا یموت، اغفر لأُمّی فاطمة بنت أسد ووسّع علیها مدخلها بحقّ نبیّک والأنبیاء الذین من قبلی». (۱)

۵ ـ رُوی عن عمر بن الخطّاب أنّ رسول الله۹ قال: «لمـّا اقترف آدمُ الخطیئةَ، قال: یا ربّ، أسألکَ بحقّ محمّد إلا غفرتَ لی». (۲)

الأحادیث التی ذکرناها هنا هی أمثلة علی جواز التوسّل بأولیاء الله تعالی وأنبیائه، وقد نُقلت بأسانید عدیدة معظمها صحیحة، فهی تتضمّن بیان حقائق دامغة لمخالفی التوسّل لتأکیدها علی حسنه ورجحانه وذلک لأنّه یزید فی تقرّب السائل من ربّ العزّة والجلالة. فحتّی رسول الله نفسه قد توسّل إلی الله بنبوّته وبسائر الأنبیاء وعلّم المسلمین ذلک، إذ أوصاهم بأن یتوسّلوا بعباد الله المقرّبین عند الدعاء وطلب الحوائج.

وتجدر الإشارة إلی أنّ التوسّل بالأنبیاء والأولیاء ممکنٌ فی کلّ زمانٍ، أی أثناء حیاتهم وبعد مماتهم، لأنّ المتوسّل بهم فی الحقیقة یسأل الله بحقّ منزلتهم عنده ویجعلها وسیلةً للتقرّب إلیه تعالی، ومن البدیهیّ أنّ منزلة خیر خلق الله لا تزول أبداً سواء أکان حیّاً أم میّتاً، لأنّ الله قد أکرمهم بها فی الحیاة الدنیویّة والبرزخیّة وفی الحیاة الأُخرویّة أیضاً. وبالطبع فإنّ العبد لا یتوسّل بقدرة الأنبیاء والأولیاء الجسدیّة والظاهریّة لکی یُقال إنّه بعد موتهم سوف ینتفی موضوع التوسّل، بل المقصود توسّله بمنزلتهم التی لا تزول وبشأنهم الرّفیع عند الباریٔ جلّ وعلا؛ لذلک نلاحظ أنّ رسولنا الکریم۹ قد توسّل بأنبیاء الله السالفین، ورُوی أیضاً أنّ آدم قد توسّل برسولنا الکریم وسأل الله

۱- حلیة الأولیاء، ج۳، ص۱۲۱.

۲- کنز العمّال، ج۱۱، ص۴۵۵.

ص: ۲۳

بحقّه قبل أن یُخلق. وسوف نذکر ما کانت علیه سیرة المسلمین بشأن التوسّل، فمنذ زمن الصحابة والتابعین جرت السیرة علی توسّل المسلمین إلی الله بأرواح الأنبیاء والأولیاء قرب مراقدهم التی تحفّها الملائکة. والعجیب ما ادّعاه البعض من أنّ التوسّل بالموتی شرکٌ! فلو کان التوسّل بغیر الله شرکاً، فلا یختلف المعیار فیه بین المیّت والحیّ.

التوسّل فی سیرة المسلمین

إضافةً للآیات والأحادیث التی تطرّقنا إلیها، فللتوسّل بأولیاء الله مکانة خاصّة بین المسلمین. فمنذ صدر الإسلام وحتّی یومنا هذا ما انفکّوا یتوسّلون بأنبیاء الله وأولیائه والصالحین من عباده عند طلب حوائجهم، حیث جعلوا أحباب الله ومقرّبیه الذین لهم شأنٌ عظیمٌ عنده، وسیلةً لکی یُلبّی تعالی طلبهم، فإکراماً لذوی الشأن یستجیب ربّ العزّة دعاء العباد ویقضی حوائجهم.

وفیما یلی بعض الأمثلة علی ذلک:

۱ ـ بعد أن تُوفّی رسول الله، أصاب المدینة جدَبٌ شدیدٌ فشکا النّاس ذلک إلی عائشة، فقالت لهم: «أُنظروا إلی قبر رسول الله فاجعلوا منه کوّاً إلی السماء حتّی لا یکون بینه وبین السماء سقفٌ». (۱)

۲ ـ عن أنس بن مالک انّ عمر بن الخطّاب کان إذا قحطوا استسقی بالعبّاس بن عبد المطّلب، فقال: «اللّهم إنّا کنّا نتوسّل إلیک بنبیّنا فتسقینا، وإنّا نتوسّل إلیک بعمّ نبیّنا فأسقنا.

۱- سنن الدارمی، ج ۱، ص۴۳.

ص: ۲۴

قال]أنس[: فيُسقَون». (۱)

۳ ـ رُوى عن عثمان بن حُنيف قوله: «إنّ رجلاً كان يختلفُ إلى عثمان بن عفّان۲ فى حاجةٍ له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظُر فى حاجته. فلقىَ ابنَ حُنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حُنيف : ائت الميضأة فتوضّأ، ثمّ ائت المسجد فصلّ فيه ركعتين، ثمّ قُل: «اللّهم إنّى أسألُك وأتوجّه إليك بنبيّنا محمّدٍ نبىّ الرحمة، يا محمّد إنّى أتوجّه بك إلى ربّى فتقضى لى حاجتى»؛ وتذكُر حاجتَك». (۲)

۴ ـ ابتُلى النّاس فى عهد عمر بن الخطّاب بجدَبٍ، فأتى بلال بن الحرث إلى مرقد رسول الله ۹، وقال: «يا رسولَ الله استسقِ لأُمّتك فإنّهم هلَكوا». (۳)

۵ ـ رُوى عن محمّد بن حرب الهلالى أنّه قال: كنت جالساً عند قبر رسول الله، وإذا بأعرابىٍّ قد أقبل على ناقةٍ له، فنزل وعقلها ودنا إلى مرقد رسول الله، وبعد أن أنشد شعراً تحيّةً وإجلالاً له صلوات الله عليه، قال: «وجدت الله تعالى يقول: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً)، وقد جئتُك يا رسولَ الله مُستغفراً من ذنبى مُستشفعاً بك إلى ربّى». (۴)

۶ ـ يُروى أنّ الخليفة العبّاسى أبو جعفر المنصور سأل مالك بن أنس ـ إمام المالكيّة ـ عن كيفيّة زيارة قبر رسول الله ۹، وسأله هل يستقبل القبلة عند الزيارة أو يستقبل القبر؟ فأجاب مالك: «لِمَ تصرِف وجهَك عنه وهو

۱- صحيح البخارى، ج۲، ص۷۵.

۲- المعجم الكبير، الطبرانى، ج۹، ص۱۸.

۳- وفاء الوفاء، ج۴، ص۱۳۷۴.

۴- المصدر السابق، ص۱۳۶۱.

ص: ۲۵

وسیلتک ووسیلة أبیک آدم إلی الله یوم القیامة، بل استقبله واستشفع به فیشفعک الله. قال الله تعالی: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوکَ)». (۱)

۷ـ نُقل عن الإمام الشّافعی هاذان البیتان من الشعر یتوسّل فیهما بأهل بیت النبیّ ۹، فقال:

آل النبیّ ذریعتی

وهُم إلیه وسیلَتی

أرجو بِهم أُعطی غداً

بیدی الیمین صحیفتی (۲)

ویذکر علیّ بن میمون أیضاً أنّه سمع الشّافعی یقول: «إنّی لأَتبرّک بأبی حنیفة وأجیءُ إلی قبرِه فی کلّ یومٍ، یعنی زائراً، فإذا عرَضت لی حاجةٌ صلّیتُ رکعتینِ وجئتُ إلی قبرِه وسألتُ اللهَ الحاجةَ عنده». (۳)

۸ـ قال شیخ الحنابلة فی زمانه الحسن بن إبراهیم أبو علیّ الخلال: «ما همّنی أمرٌ فقصدت قبر موسی بن جعفر فتوسلت به إلا سهّل الله تعالی لی ما أحب». (۴)

۹ـ أبو بکر محمّد بن المؤمل بن الحسن بن عیسی یقول: خرجنا مع إمام أهل الحدیث أبی بکر بن خزیمة وعدیله أبی علیّ الثقفیّ مع جماعة من مشایخنا وهم إذ ذاک متوافرون إلی زیارة قبر علیّ بن موسی الرضا بطوس. قال: «فرأیتُ من تعظیمِه ـ یعنی ابن خزیمة ـ لتلک البقعة وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما تحیّرنا». (۵)

۱- وفاء الوفاء، ج۴، ص۱۳۷۶.

۲- الصّواعق المـُحرقة، ص۱۷۸.

۳- تأریخ بغداد، ج۱، ص۱۲۳.

۴- المصدر السابق، ص۱۲۰.

۵- تهذیب التهذیب، ج۷، ص۳۸۸.

ص: ۲۶

إنّ ما ذکرناه هنا من أدلّةٍ علی جواز التوسّل بأولیاء الله الصالحین لیس إلا غیضٌ من فیضٍ، وهناک الکثیر منها فی مصادر الحدیث والتأریخ نستوحی منها أنّ سیرة الصحابة والتابعین والعلماء وأئمة الفقه والحدیث کانت جاریةً علیه، إذ کانوا یجعلونهم وسیلةً عند طلب الحاجة من الله تعالی.

إذن، من المؤکّد أنّ سیرة المسلمین کانت جاریةً علی جواز التوسّل بأولیاء الله الصالحین، بل اعتبروه مستحبّاً، وذلک منذ عهد الصحابة والتابعین.

المبحث الثالث: التبرّک بآثار أولیاء اللّه

ص: ۲۷

إنّ مودّة أولیاء الله وإجلالهم دون شکٍّ ناشئان عن کونهم عباداً صالحین ومقرّبین من الله عزّوجلّ، والحقیقة أنّ هاذین الفعلین یعتبر ان غایةً فی الحسن ولا قبح فیهما مطلقاً، کما یُعتبر ان من الأعمال التی تُقرّب إلیه تعالی. وقد وعد اللهُ عباده الصالحین بأنّه سیُرسّخ محبّتهم فی قلوب سائر عباده، فقال فی کتابه العزیز: (إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَیَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً). (۱)

ونحن نعلم أنّ المحبّة أمرٌ شعوریٌّ ولا توجد لها علامة ظاهرة، لذلک إن أراد العبد إظهارها علی جوارحه، یجب علیه سلوک سُبل العقلاء والسیر علی طریقتهم إلا ما نهی عنه الشارع المقدّس. وإحدی الطُرق التی یمکن للعبد أن یسلکها لإبراز محبّة أولیاء الله وعباده الصالحین والتی لم ینه الشارع المقدّس عنها، هی التبرّک بما بقی من آثارهم وما یتعلّق بهم، واحترام کلّ شیءٍ یُذکّرنا بهم.

۱- سورة مریم، الآیة ۹۶.

ص: ۲۸

فکمـا أنّ تقبیل الحجر الأسود والطّواف حول الکعبـة، وحتّی الأعمال والأذکار التی نؤدّیها فی صـلواتنا، هی علامات تـدلّ علی إظهار العبودیّـة والخشوع لله سـبحانه وتعـالی؛ فکـذلک هو التبرّک بآثـار الأولیاء، حیث یعتبر علامـة علی إبراز المحبّـة ومن مصادیق المودّة للذین أوجب الله علینا مودّتهم. کما یذکر لنا التأریخ أنّه بعد وفاة رسول الله ۹ کان صحابته یحترمون کلّ شیءٍ یُنسب إلیه ویتبرّکون به ویتّخذونه وسیلةً لإظهار حبّهم وتعظیمهم له، وهکذا فعل یعقوب بعد فراق یوسف، إذ وضع القمیص الذی کان أثراً من المحبوب علی عینیه فعاد بصیراً. حیث قال تعالی فی کتابه الکریم: (فَلَمَّا أن جَاء الْبَشِیرُ أَلْقَاهُ عَلَی وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِیراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ). (۱)

وفیما یلی بعض الروایات فی هذا المضمار:

۱ ـ روَی عـون بن أبی جُحیفـة عن أبیه قوله: «أَتَیْتُ النَّبیَّ ۦوَهْوَ فی قُبَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ أَدَمٍ ، ورأیْتُ بلالاً أخـذَ وضُوءَ النَّبیِّ ۦوالنَّاسُ یبتدِرُونَ الوضُوءَ، فمَنْ أصابَ منهُ شیئاً تمسَّحَ بِهِ، ومَنْ لم یُصِبْ منهُ شیئاً أخذَ مِنْ بَلَلِ یدِ صاحبِهِ». (۲)

۲ ـ کما رُوی عن أبی جُحیفـة قوله: «خرجَ رسولُ اللهِ ۦبالهاجِرَةِ إلی البطحاءِ، فتوضَّأ ثُمَّ صـلَّی الظُّهر رکعتَیْنِ والعصرَ رکعتَیْنِ، وبینَ یدیهِ عنزَةٌ. قـال: کـانَ یمُرُّ من ورائِهَا المارّة، وقامَ النَّاسُ فجعلُوا یأخُذُونَ یـدیهِ فیمسـحونَ بها وجوهَهُمْ، قال: فأخـذتُ بیـدهِ، فوضـعتُهَا علی وجهی، فإذا هیَ أبردُ من الثَّلْجِ، وأطیبُ رائحَةً من المسْکِ». (۳)

۱- سورة یوسف، الآیة ۹۶.

۲- صحیح البخاری، ج۷، ص۲۸۳.

۳- المصدر السابق، ج۵، ص۲۹.

ص: ۲۹

۳ـ قال أبو بُردة أنّ عبدالله بن سلام قال له: «ألا أسقيکَ فى قدَحٍ شرِبَ منهُ النبىُّ»، وهذا القدح نفسه الذى طلبه عمر بن عبدالعزيز فوُهب له. (۱)

وکذلک فقد أفرد البخارى فى صحيحه باباً تحت عنوان: ما ذُکر من درع النبىّ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلک ممّا لم يذکر قسمته، ومن شَعره ونعله وآنيته ممّا يتبرّک أصحابه وغيرهم بعد وفاته. (۲)

۴ـ رُوى عن سلمة بن الأکوَع قوله: «بايعتُ النبىّ بيدى هذه، فقبّلناها فلم يُنکر ذلک». (۳)

۵ـ ورُوى: «جاءَ الأشجّ يمشى حتّى أخذَ بيد النبىّ فقبّلها، فقال له النبىّ: أما أنّ فيک خُلقَين يُحبّهما الله ورسوله»، إلى آخر الحديث. (۴)

۶ـ رُوى عن يحيى بن الحارث قوله: «لقيتُ واثلة بن الأسقع، فقلتُ: بايعتَ بيدک رسولَ الله؟

فقال: نعم.

قلتُ: أعطنى يدَک أُقبّلها. فأعطانيها فقبّلتُها». (۵)

۱- صحيح البخارى، ج۷، صص۲۰۶ و ۲۰۷.

۲- المصدر السابق، ج۴، ص۱۸۴.

۳- حياة الصحابة، ج۲، ص۴۸۳.

۴- المصدر السابق، ص۴۸۴.

۵- مجمع الزوائد، ج۸ ص۴۲.

ص: ۳۰

۷ـ رَوى أبو جدعان أنّ ثابتاً قال لأنس بن مالك: «أَمَسَستَ النبيّ بيدك؟

قال: نعم. فقبّلتُها». (۱)

۸ـ رُوى عن عمّار بن أبى عمّار أنّ زيد بن ثابت رکب يوماً فأخذ ابن عبّاس برکابه، فقال: «تنَحّ يا ابن عمّ رسول الله. فقال: هكذا أُمرنا أن نفعلَ بعلمائنا وكبرائنا.

فقال زيد: أرِنى يدَك.

فأخرج يدَه فقبّلها، فقال: هكذا أُمرنا أن نفعلَ بأهلِ بيتِ نبيّنا». (۲)

۹ـ رُوى عن الإمام علىّ۷ أنّه قال: «لمّا رُمِس رسولُ الله، جاءت فاطمةُ۳ فوقفت على قبرهِ وأخذت قبضةً من تُراب القبر ووضعته على عينيها وبكت». (۳)

۱۰ـ رُوى عن أبى الدرداء: «إنّ بلالاً رأى فى منامه النبىّ وهو يقول له: ما هذه الجفوَة يا بلال؟! أما آنَ لك أن تزورَنى يا بلال؟! فانتَبَهَ حزيناً وَجِلاً خائفاً، فركِب راحلَته وقصَد المدينةَ وأتى قبرَ النبىّ فجعل يبكى عنده ويُمرّغ وجهَه عليه، وأقبلَ الحسنُ والحسينُ فجعلَ يضمّهما على صدره ويُقبّلهما». (۴)

۱۱ـ رُوى عن داوود بن أبى صالح قوله: «أقبَلَ مروانُ يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهَه على القبرِ، فقال: أتدرى ما تصنع؟ فأقبَلَ عليه فإذا هو أبو أيّوب، فقال: نعم، جئتُ إلى رسولِ اللهِ ولم آتِ الحجرَ. سمعتُ رسولُ الله يقول: لا تبكوا على الدّين إذا وليَه أهلُه، ولكن ابكوا على الدّين إذا وليَه غير أهلِه». (۵)

۱- حياة الصحابة، ج۲، ص۴۸۵.

۲- كنز العمّال، ج۱۳، ص۳۹۶.

۳- وفاء الوفاء، ج۴، ص۱۴۰۵.

۴- تهذيب تأريخ دمشق، ج۲، ص۲۵۹.

۵- مجمع الزوائد، ج۵، ص۲۴۵.

ص: ۳۱

۱۲ ـ رَوى الخطيب بن جملة: «أنّ ابن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر الشّريف، وأنّ بلالاً وضع خدّيه عليه أيضاً». (۱)

۱۳ ـ رُوى عن ابراهيم بن عبدالرحمن: «أنّه نظر إلى ابن عمر وضع يدَه على مقعد النبيّ من المنبر، ثمّ وضعها على وجهه». (۲)

۱۴ ـ رُوى عن عبدالله بن أحمد بن حنبل أنّه قال: «سألتُ أبى عن الرجل يمسُّ منبر رسول الله ويتبرّك بمسّه ويُقبّله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى؛ قال: لا بأس به». (۳)

إذن، يتّضح لنا من مضمون هذه الأحاديث والأخبار أنّ التبرّك بآثار الأنبياء والأولياء كان رائجاً فى زمان رسول الله۹ وكذلك فى زمان الصحابة والتابعين، حيث لم ينهَ عنه الرسولُ ولا صحابتُه، لأنّه احترام وتعظيم للأنبياء والأولياء.

المبحث الرابع: زيارة مراقد أولياء اللّه

اشارة

۱- وفاء الوفاء، ج۴، ص۱۴۰۵.

۲- حياة الصحابة، ج۲، ص۳۱۰.

۳- وفاء الوفاء، ج۴، ص۱۴۰۴.

ص: ۳۲

ص: ۳۳

لا ـ ريب فى أنّ زيـارة مراقـد أنبيـاء الله وأوليـائه وعباده الصّالحين والتأمّل فى شخصـيّاتهم المقدّسـة لمعرفـة الأعمال التى قاموا بها بغيـة تهـذيب أنفسـهم للوصول إلى هـذه الدرجـة من التقوى التى قرّبتهم من الله، لها فوائد تربويّة عظيمة للعباد إذ تُذكّرهم بالقِيَم والمبادئ والتعاليم التى دعا لها هؤلاء الصلحاء.

ولا يخفى علينا أنّ زيارة مراقـد أولياء الله تنبّه الإنسان من غفلته عن الموت والآخرة، فتذكّره بيوم الجزاء. ومن البديهىّ أنّ تذكّر البعث والحساب يعتبر مُحفّزاً نفسيّاً قويّاً للإنسان كى يعبـد الله بنيّـةٍ خالصةٍ فيسـعى جاهداً لأداء الواجبات ونبذ المحرّمات ممّا يزيد من تقواه، حاله حال أولياء الله الذين كانوا لا ينفكّون يذكرون الآخرة فى حياتهم.

وفى هذا السـياق يمدح تعالى أنبياءه إبراهيم وإسـحاق ويعقوب فى كتابه الكريم قائلًا: (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى الْأَيْدِى وَالْأَبْصَارِ *

ص: ۳۴

إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ). (۱)

فمن آثار زيارة مراقد أولياء الله أنّها تجعل الإنسان يَعتبِر بالموت ويتذكّر الآخرة، وهى حقيقةٌ تناولتها أحاديث عديدة نُقلت عن رسول الله۹ وأكّدت عليها، وسنذكر بعضاً منها لاحقاً. لذا فقد جعلها الشارع المقدّس من الأعمال المستحبّة لما لها من آثارٍ تربويّةٍ وفوائد معنويّةٍ كبيرةٍ، إذ أوصى بها رسول الله۹ وكان بنفسه يذهب لزيارة القبور ويعلّم أصحابه آداب زيارتها وكيفيّة السلام على الأموات.

وتجدر الإشارة إلى أنّ رسول الله۹ قد نهى عن زيارة القبور فى بادئ الأمر كما جاء فى بعض الأحاديث، إلا أنّه غيّر الحكم فيما بعد وأجاز للنّاس زيارتها. فلَرُبّما كان النهى فى بادئ الأمر يعود لواقع الأموات حينها، لأنّ أغلب موتى المسلمين فى بداية الدعوة كانوا مشركين وعبَدة أوثانٍ، لذلك قصد رسول الله۹ قطع صلة المسلمين بالمشركين، لا سيّما أنّهم كانوا حديثى العهد بالدين الجديد وقد يتلفّظون بالباطل أو بالشرك عند زيارة قبور أمواتهم. ولكن بعد أن قويت شوكة الإسلام وترسّخت عقيدة التوحيد فى نفوس المسلمين وأدركوا تعاليم دينهم وبعد أن ازداد عددهم وانتقل بعضهم إلى رحمة الله، أجاز لهم رسول الله زيارة القبور، بل أوصاهم بها لما فيها من فوائد تربويّة لهم.

ونتطرّق فيما يلى لبعض الأحاديث التى رُويت فى هذا الشأن، لكن قبل ذلك ننوّه إلى أنّ «الأمر» الذى ورد فى هذه الأحاديث بعد «النهى» لا يدلّ على الإباحة بعد المنع فحسب، بل يدلّ على المطلوبيّة والاستحباب لأنّ

۱- سورة ص، الآيتان ۴۵ و۴۶.

ص: ۳۵

رسول الله فی مقام بیان فوائد زیارة القبور وحکمها الشرعی.

۱ ـ رُوی عن بُریدة أنّ رسول الله۹ قال: «قد کُنتُ نهیتُکم عن زیارة القبور، فزوروها فإنّها تُذکّر الآخرة». (۱)

۲ ـ رُوی عن أنس أنّ رسول الله۹ قال: «کنتُ نهیتُکم عن زیارة القبور، ألا فزوروها فإنّها تُرِقّ القلب وتُدمِع العین وتُذکّر الآخرة، ولا تقولوا هجراً». (۲)

۳ ـ رُوی أیضاً عن أنس أنّ رسول الله۹ قال: «نهیتُکم عن زیارة القبور، فزوروها فإنّها تُذکّرکم الموتَ». (۳)

وهناک الکثیر من الروایات الأُخری فی هذا الشأن نقلها أرباب الصحاح والسنن والمسانید، حیث وردت فی بعضها تفاصیل عن آداب الزیارة وکیفیّة السلام علی صاحب القبر والأذکار المخصّصة لذلک.

زیارة قبر النبیّ

إضافةً للروایات التی تدلّ علی استحباب زیارة المراقد المقدّسة، لدینا روایاتٌ أُخری مختصّة باستحباب زیارة مرقد رسول الله سنشیر إلی بعضٍ منها، ولکن قبل ذلک لا بد أن نُنوّه إلی أمرٍ هامٍّ، وهو: أن الله تعالی أمر المذنبین أن یذهبوا إلی نبیّه الکریم ویستغفروا الله عنده ثمّ یستغفر هو لهم، حیث قال فی کتابه الکریم: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوکَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِیماً). (۴) کما أنّه تعالی مدح الذین

۱- سنن الترمذی، ج۳، ص ۳۷۰.

۲- کنز العمّال، ج۱۵، ص۶۴۶.

۳- مستدرک الحاکم، ج۱، ص۳۷۵.

۴- سورة النساء، الآیة ۶۴.

ص: ۳۶

يُهاجرون فى سبيل الله ورسوله، فقال فى آيةٍ أُخرى من نفس السورة: (وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً). (۱) وكما نعلم فإنّ رسول الله۹ ذو كرامةٍ ووجاهةٍ عند الله سواء أكان حيّاً أم ميّتاً، ويُشرف على أعمال أُمّته فى كلتا الحالتين، الأمر الذى تمّ التأكيد عليه فى حديثٍ صحيحٍ رواه عبدالله بن مسعود عن النبى، فقال: «إنّ للهِ ملائكةً سيّاحين يبلغون عن أُمّتى السلام. قال: وقال رسول الله: حياتى خيرٌ لكم تحدثون وتحدث لكم، ووفاتى خيرٌ لكم تُعرض علىّ أعمالكم. فما رأيتُ من خيرٍ حمدتُ اللهَ عليه وما رأيتُ من شرٍّ استغفرتُ اللهَ لكم». (۲)

فهذا الحديث دليلٌ جلىٌّ على أنّ رسول الله۹ فى حياته ومماته مصدرُ خيرٍ وبركةٍ، وأنّه حتّى بعد مماته يُشرف على أعمال أُمّته ويستغفر للمذنبين منهم كما كان يفعل فى حياته المباركة. لذلك، فإنّ زيارة قبره صلوات الله عليه واستغفار الله فى حضرته الطّاهرة جائزٌ، وهى كزيارته فى حياته والتضرّع بين يديه استغفاراً لربّ العزّة والجلالة. وأيضاً يمكن حمل معنى الآية التى تدعو عباد الله إلى طلب المغفرة من ربّهم بين يدى نبيّهم الكريم، على جواز هذا العمل عند مرقده المقدّس أيضاً. ناهيك عن الكثير من الأحاديث التى وردت بطرقٍ متعدّدةٍ فى استحباب زيارة قبره صلوات الله عليه، حيث نذكر أمثلةً منها هنا:

۱ ـ رُوى عن عبدالله بن عمر أنّ رسول الله قال: «مَن زار قبرى وجَبَتْ

۱– سورة النساء، الآية ۱۰۰.

۲– مجمع الزوائد، ج۹، ص۲۴.

ص: ۳۷

له شفاعتی». (۱)

۲ ـ رُوی عن عبدالله بن عمر أیضاً أنّ رسول الله قال: «مَن حجّ فزار قبری بعد موتی کان کمَن زارنی فی حیاتی». (۲)

۳ ـ رُوی عن حاطب بن أبی بلتعة أنّ رسول الله قال: «مَن زارنی بعد موتی فکأنّما زارنی فی حیاتی». (۳)

فهـذه الأحادیث ونظائرها وردت فی مصادر الحـدیث بصیَغٍ وعباراتٍ مختلفـةٍ وقد تداولها المحدّثون والحفّاظ علی مرّ القرون، ونظراً لعددها الکبیر فلا یمکن التردید فی صحّتها.

وکذلک فإنّ سیرة المسلمین منذ عصر الصّحابة إلی الیوم جاریةٌ علی زیارة قبر رسول‌الله۹ بشوقٍ عارمٍ حیث یحدوهم الحبّ والمودّة لنبیّهم الکریم لأنّه الوسیلة التی تقرّبهم إلی ربّ العزّة والجلالة.

السفر لزیارة المراقد المقدّسة

کما ذکرنا، فإنّ زیارة مراقـد المؤمنین وأولیاء الله الصّالحین، لا سیّما مرقد رسول‌الله، تعتبر من المسـتحبّات التی أکّدت علیها الروایات الصـحیحة. لـذا، فسـفر المسـلم وانتقاله من مکانٍ إلی آخر بغیـة زیارة هـذه المراقد المقدّسة یعتبر سـفراً مسـتحبّاً أیضاً، لأنّ القصد منه الامتثال لحکم الشّارع وأداء فعلٍ مستحبٍّ.

عندما یکون السفر لزیارة المراقد عملاً مشروعاً ومن المستحبّات کما ورد

۱- سنن الدارقطنی، ج ۲، ص۲۷۸.

۲- سنن البیهقی، ج۵، ص۲۴۶.

۳- سنن الدارقطنی، ج ۲، ص۲۷۸.

ص: ۳۸

فی الأحادیث الصحیحة، فما هو الفرق بین أن یقصد العبد زیارة مرقدٍ مقدّسٍ فی مدینته أو یقصد زیارة مرقدٍ فی مدینةٍ أُخری؟! ففی کلتا الحالتین سیطوی مسافةً قصیرةً أو طویلةً، ومن الطبیعیّ أنّه لا یوجد فرقٌ فی أصل الموضوع؛ إذ القصد یکمن فی الزیارة. وفی هذا المضمار هناک أحادیث عدیدة أیضاً تشیر بوضوحٍ إلی جواز السفر بقصد زیارة المراقد المقدّسة، نذکر عدداً منها فیما یلی:

۱ ـ رُوی عن أبی هریرة أنّ رسول الله۹ حینَ مرّ علی شهداء أُحُد قال: «أشهد أنّ هؤلاء شهداء عند الله یوم القیامة، فأتوهم وزوروهم؛ والذی نفسی بیده لا یُسلّم علیهم أحدٌ إلی یوم القیامة إلا ردّوا علیه». (۱)

۲ ـ قال طلحة بن عبیدالله: کنّا مع رسول الله فی سفرٍ، فلمّا أشرفنا علی حرّة «واقم» إذا نحن بقبورٍ، فقلنا: یا رسولَ الله هذه قبور إخواننا، قال: «هذه قبورُ أصحابِنا»، فلمّا جاء قبورَ الشهداءِ، قال: «هذه قبورُ إخوانِنا». (۲) المقصود من «إخواننا» شهداء أُحد الذین تبعد قبورهم بضعة کیلومترات عن المدینة المنوّرة.

۳ ـ رُوی عن أبی الدرداء أنّ بلالاً رأی رسول الله۹ فی منامه وهو یقول له: «ما هذه الجفوَة یا بلال؟! أما آنَ لک أن تزورَنی یا بلال؟! فانتبه حزیناً وجِلاً خائفاً، فرکب راحلته وقصد المدینة وأتی قبرَ النبیّ» (۳) وقد نقلنا هذا الحدیث فی المبحث الثّالث کاملاً.

۴ ـ رَوی الإمام علیّ بن الحسین۷ عن أبیه۷ أنّه قال: «کانت فاطمةُ

۱- مستدرک الحاکم، ج۲، ص۲۴۸.

۲- مسند أحمد بن حنبل، ج۱، ص۱۶۱.

۳- تهذیب تأریخ دمشق، ج۲، ص۲۵۹.

ص: ۳۹

تزورُ قبرَ عمِّها حمزة فی كلّ جُمعةٍ فتُصلّی وتبکی عنده». (۱)

۵ ـ رُوی عن شهر بن حوشب أنّه قال: لمّا أسلم کعب الأحبار عند

عمر بن الخطّاب وهو فی بیت المقدس، فرح عمر بإسلامه، ثمّ قال: «هل لک أن تسیرَ معی إلی المدینة فنزور قبرَ النبیّ وتتمتّع بزیارته؟ فقال: نعم یا أمیرالمؤمنین، أنا أفعل ذلک». (۲)

إذن، استناداً لهذه الأحادیث ونظراً لما جرت علیه سیرة المسلمین علی مرّ العصور، فإنّ السفر لزیارة المراقد المقدّسة یعتبر أمراً مشروعاً، بل مستحبّاً، حیث أشرنا سابقاً إلی أنّ حکم استحباب السفر لزیارة أولیاء الله ناشئ عن استحباب الزیارة نفسها، وهذا الحکم بذاته ثابت بتأیید الأحادیث الصحیحة.

هناک مسألةٌ تجدر الإشارة إلیها فی هذا المضمار، ألا وهی عبارة «شدّ الرّحال» وما شاکلها التی وردت فی بعض الأحادیث، إذ نذکر هنا واحداً منها علی سبیل المثال:

رُوی عن أبی هریرة أنّ رسول الله قال: «لا تشدّ الرّحال إلا إلی ثلاثة مساجدَ، مسجدی هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصی». (۳)

استند البعض إلی هذا الحدیث لیدّعوا أنّ السفر بقصد زیارة مراقد الأنبیاء والأولیاء، وحتّی مرقد رسول الله، من المحرّمات؛ لأنّ هذا الحدیث ینهی عن السفر لزیارة غیر هذه المساجد الثّلاثة. إلا أنّ الحدیث فی الحقیقة لا یدلّ علی النهی عن السفر لزیارة غیر هذه المساجد مطلقاً، بل إنّ

۱- سنن البیهقی، ج۴، ص۷۸.

۲- فتوح الشّام، ج۱، ص۲۴۴.

۳- صحیح مسلم، ج۴، ۱۲۶.

ص: ۴۰

رسول الله فی مقام بیان مکانتها المرموقة وأفضلیتها علی سائر المساجد، وأنّ الصلاةَ فیها عظیمةٌ لدرجة أنّها تستحق تحمّل عناء السفر ومشقّته؛ إذ سینال المرءُ بذلک ثواباً کبیراً. فضلًا عن أنّ الحدیث قد ورد بثلاثة تعابیر

لا یدلّ أیٌّ منها علی إنشاء حکمٍ بالنهیّ البتّة، بل ثلاثتها وردت بصیغة الإخبار، کما یلی:

لا تشدّ الرّحال إلا إلی ثلاثة مساجدَ ... (۱)

إنّما یُسافر إلی ثلاثة مساجد ...

تشدّ الرّحال إلی ثلاثة مساجد ...

فعند التأمّل بهذه العبارات یتبیّن لنا بوضوحٍ أنّ رسول الله ۹ لا ینهی عن السفر لسوی هذه المساجد، بل یؤکّد صلوات الله علیه علی کرامتها وأفضلیّتها بالنسبة لسائر المساجد. ومن المعلوم أنّ السفر للجهاد أو طلب العلم أو حتّی السیر فی الأرض یعتبر من المستحبّات فی الشریعة الإسلامیّة، وکذلک فإنّ السفر إلی «عرفات» و«المشعر» و«مِنی» لمَن یحجّ بیت الله الحرام یعتبر من الواجبات.

ویذکر لنا المؤرّخون والمحدّثون أنّ رسول الله کان یُشجّع النّاس علی الذهاب إلی مسجد «قباء» الذی کان یبعد عدّة کیلومتراتٍ عن المدینة آنذاک، وهو بنفسه أیضاً کان یقصده فی أیّام السبت عادةً. فقد رُوی عن سهل بن حنیف أنّ رسول الله ۹ قال: «مَن تطهّر فی بیته ثمّ أتی مسجد قباء فصلّی فیه صلاةً، کان له کأجر عُمرةٍ». (۲)

۱- وردت هذه التعابیر الثّلاثة فی صحیح مسلم، ج۴، ص۱۲۶.

۲- سنن ابن ماجه، ج۱، ص۴۵۳.

ص: ۴۱

وقال ابن عمر: «كان النبيُّ يأتى مسجدَ قباء كلّ سبتٍ ماشياً وراكباً». (۱)

كما كان صلوات الله عليه يخرج من المدينة لزيارة قبور شهداء أُحد وكانت سيرة الصّحابة على ذلك أيضاً، حيث ذكرنا سابقاً ما جاء من روايات فى هذا المجال.

زيارة النّساء للقبور

إنّ استحباب زيارة القبور حكمٌ يستوى فيه الرّجال والنّساء على حدٍ سواء. فالنّساء لا يختلفن عن الرّجال فى هذا العمل، لأنّهنّ بحاجةٍ للتبرّك بمراقد أولياء الله وتذكّر الموت والآخرة أيضاً، وهذا الحكم مشتركٌ بين الجنسين كسائر الأحكام الدينيّة المشتركة بينهما. طبعاً لابدّ من التنويه هنا إلى «القصد» ومراعاة الشرع فى هذا العمل، أى أنّ المرأة يجب أن لا تتّخذ من هذا الأمر ذريعةً للحضور بين الرّجال أو للظهور أمامهم، فلا ريب فى حُرمة عملها هذا، لأنّه قد يؤدّى إلى الفساد والانحراف. لذا لَعَنَ رسولُ الله النّساءَ اللواتى يُداوِمنَ على زيارة القبور، كما رُوى عن أبى هريرة: «إنّ رسول الله لعنَ زوّاراتِ القبور».(۲) فقد لعن صلوات الله عليه «الزوّارات» من النّساء، ونعلم أنّ كلمة «زوّار» هى صيغة مبالغة تدلّ على الكثرة والاستمرار. لذا يكون ذمُّ رسول الله مختصّاً بالنساء اللواتى يجعلن من زيارة القبور عادةً لهنّ ويتردّدن عليها باستمرار فيتعرّضن للتّهمة أو يكون فعلهنّ سبباً لإثارة الفِتن والفساد الأخلاقى.

إلا أنّ المرأة التى تقصد زيارة القبور من أجل السّلام على أهلها ولكسب

۱- صحيح البخارى، ج۲، ص۱۳۷.

۲- سنن الترمذى، ج۳، ص۳۷۲.

ص: ۴۲

الثّواب والاعتبار بها من خلال تذكّر الآخرة، فلا يُخشى من حصول الفِتن بسبب عملها هذا لأنّها قامت بأداء عبادةٍ مستحبّةٍ، وبالتّالى لا ريب فى عدم شمول لعن النبىّ لها.

كما أنّ الترمذى بعد أن ذكر الحديث أعلاه، قال: «إنّ هذا كان قبلَ أنْ يُرخّص النبىّ فى زيارة القبور، فلمّا رخّص دخل فى رخصتهِ الرّجالُ والنّساءُ». (۱) لذلك نلاحظ أنّ النّساء فى عهد رسول الله۹ وبعده كُنّ يذهبنَ لزيارة القبور ولم يردعهُنّ أحدٌ، حتّى أنّ النبىّ نفسه علّم عائشة آداب زيارة القبور والسّلام على أهلها.

ولا نرى بأساً فى أن نذكر بعض الأحاديث بالنسبة لجواز زيارة النّساء للقبور فيما يلى:

۱ ـ رُوى عن عائشة حديثٌ طويلٌ قالت فيه: قال رسول الله: «فأمرَنى ـ جبرائيل ـ أن آتى البقيعَ فأستغفر لهم.

قلتُ: كيف أقول يا رسولَ الله؟

قال: قولى السلام على أهل الدّيارِ من المؤمنين والمسلمين، يرحم اللهُ المستقدمينَ منّا والمستأخرينَ، وإنّا إن شاء اللهُ بكم لاحقون». (۲)

۲ ـ رُوى عن عبدالله بن أبى مليكة أنّ عائشة أقبلت ذات يومٍ من المقابر، فقلت لها: «يا اُمّ المؤمنين من أين أقبلت؟

قالت: من قبر أخى عبد الرّحمن.

فقلت لها: أليس كان نهى رسول الله عن زيارة القبور؟

۱- سنن الترمذى، ج۳، ص۳۷۲.

۲- سنن النّسائى، ج۴، ص۹۳.

ص: ۴۳

قالت: نعم، كان نهى عن زيارة القبور، ثمّ أمر بزيارتها». (۱)

۳ ـ جاء فى سنن البيهقى: «كانت فاطمة تزور قبر عمّها حمزة كلّ جمعة». (۲) وقد نقلنا هذه الرّواية كاملةً فى موضوع «السفر لزيارة المراقد المقدّسة».

۴ ـ رُوى عن أنس بن مالك قوله: «مرّ النبىّ بامرأةٍ تبكى عند قبرٍ، فقال: اتّقى الله واصبرى.

قالت: إليكَ عنّى فإنّك لم تُصَب بمصيبتى ولم تعرفه.

فقيل لها: إنّه النبىّ!

فأتَت بابَ النبىّ فلم تجد عنده بوّابين.

فقالت: لم أعرفكَ!

فقال: إنّما الصّبر عند الصّدمة الأُولى». (۳)

نلاحظ فى هذه الرّواية أنّ رسول الله دعا هذه المرأة للصّبر فحسب، ولم ينهها عن زيارة القبر. فهذا الحديث والأحاديث التى سبقته واضحة الدلالة على أنّ النّساء أيضاً باستطاعتهنّ الخروج لزيارة القبور. وأمّا ما رُوى عنه صلوات الله عليه من أحاديثٍ تمنع النّساء من زيارة القبور، فإنّها تعود لزمانٍ لم يُجز فيه رسول الله ذلك بعد، أو أنّها تختصّ بالنّساء اللواتى يتّخذن من زيارة القبور عملًا أو عادةً مستمرّةً وما يترتّب على ذلك من انحرافاتٍ وفِتَنٍ.

المبحث الخامس:تشييد مراقد أولياء اللّه وتعميرها

اشارة

۱- نيل الأوطار، ج۴، ص ۱۱۰.

۲- سنن البيهقى، ج۴، ص۷۸.

۳- صحيح البخارى، ج۲، ص ۱۷۱.

ص: ۴۴

ص: ۴۵

إنّ احترام أوليـاء الله وتوقيرهم فى الحقيقـة هو احترامٌ وتوقيرٌ لـذات الإيمان والتقوى ولكافّة القِيَم الدينيّـة، وهو سبيلٌ لترويـج الخصال الحميدة التى تحلّى بها هؤلاء الصّـلحاء. فقد مدح الله تعالى خاتم أنبيائه۹ فى كتابه الكريم ووصـفه بأنّه «أُسوة حسنة» وأمرنا أن نتأسّى به، كمـا أوجب علينـا مودّة أهـل بيته الأطهـار وصـحبه الأـبرار وكافّة الأوليـاء الصّالحين. وهـذه المودّة هى أمرٌ باطنىٌّ يظهر من خلال إجلالـل أوليـاء الله، وبعبـارةٍ أُخرى فـإنّ توقير أوليـاء الله بـذاته يعتبر مودّةً لهم؛ وقـد أمرنـا رسول الله ۹ بمودّتهم واعتبرهـا من علامـات الإيمان.

من المؤكّـد أنّ مكانـة أولياء الله الرفيعـة عنـد ربّ العزّة والجلال لا تزول بعـد وفاتهم، فعندما نالوا هذه الدرجة من التقرّب إلى الله فى حياتهم لا يعقل أنّها تزول بعد مماتهم سواء فى عالم البرزخ أم فى يوم الحشر، إذ ستبقى درجتهم رفيعة وسيظلّ قدرهم عظيماً. إذن، بما أنّ زيارة مراقدهم المقدّسة تعتبر علامةً

ص: ۴۶

على إظهار المودّة والاحترام لهم من قِبل زائريهم، فبناء هذه المراقد وصيانتها يعتبر علامةً على إظهار المودّة والاحترام لهم أيضاً، فضلاً عن أنّه تقديرٌ لما قدّموه للبشريّة من خدماتٍ عظيمةٍ بهدايتهم وانتشالهم من غياهب الضلال والانحراف عن الصراط الحقّ، فإنّ حبّهم كما وصفه الإمام الشافعيّ «فرضٌ من الله فى القرآن أنزله». وهذا العمل بالطبع لا يختصّ بالمسلمين فحسب، بل أنّ جميع الأُمَم بشتّى معتقداتها تفعل ذلك وفى العصور كافّةً، فحتّى فى عهد ما قبل الإسلام كان النّاس يُشيّدون أضرحةً على مراقد الأنبياء والأولياء الصالحين ويعمّرونها إذا ما اندرست، بل حتّى إنّهم كانوا يُشيّدون أبنيةً لمواطن جلوسهم ورقودهم تبرّكاً بمقامهم عند الله وتعظيماً لهم. ومن الجدير بالذكر أنّ البعض قد أفرطوا فى هذا الأمر وانحرفوا عن حدود الشرع، فقاموا بعبادة هذه الأماكن والسجود لها، حيث أوقعهم الشيطان فى فخّ الشرك والضلال؛ وبالتأكيد فلا يمكن مقارنة هذه الأفعال التى زيّنها الشيطان لهؤلاء بأفعال مَن يُشيّد مراقد الأولياء من أجل مكانتهم الرفيعة عند الله ولكونهم مِن عباده الصالحين فحسب.

بالطبع فإنّ بناء المراقد والأضرحة للأنبياء والأولياء لا صلة له بعبادتها مطلقاً، إذ إنّ الشرك بالله وعبادة غيره ناشئٌ عن العقيدة الفاسدة المترسّخة فى نفوس القوم؛ فنلاحظ أنّ النصارى مثلاً ـ عبدوا المسيح عيسى وجعلوه شريكاً لله سبحانه وتعالى، بالرغم من أنّهم لا يعلمون أين دُفن! ولو كان له ضريحٌ ومزارٌ لربّما كان الأمر أسوأ. وفى مقابل ذلك، نلاحظ أنّ مرقد النبيّ إبراهيم۷ معلومٌ مكانه وكانت له قبّة وضريح منذ العصور التى سبقت الإسلام، إلا أنّه لم يُصبح معبَداً للمشركين قطّ. لذا فإنّ بناء الأضرحة

ص: ۴۷

والقباب على القبور لا صلة له بالشّرك وعبادة مَن دُفن فيها مطلقاً. ودون شكٍّ فإنّنا نعتقد بأنّ عبادة أىّ قبرٍ، سواء أكان مشيّداً وذا قبّةٍ أم غير مشيّدٍ

ولا بناء له، هو شركٌ ويتعارض مع عقيدتنا، عقيدة التوحيد الخالصة والإيمان ببديع السماوات والأرض الذى لا شريك له.

يأمرنا الله تعالى فى قرآنه الكريم أن نصلّى له فى مقام إبراهيم، فقال: (وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى). (۱) والحقّ أنّ الصلاة فى مقام إبراهيم لا تعنى العبادة له أو الشرك بالله تعالى، بل تعدّ احتراماً وتوقيراً له، فهو كريمٌ عندالله، فقد كان بطل التوحيد فى زمانه وتحدّى الطغاة بحزمٍ وشجاعةٍ.

وفى سورة الكهف يروى لنا القرآن الكريم فى قصّة الفتية الذين آمنوا بربّهم، أنّ النّاس كان لهم رأيان بالنسبة لقبورهم، فبعضهم اقترحوا أن يُبنى عليها بنيان والآخرون اقترحوا أن يُبنى عليها مسجد؛ والقرآن الكريم يعرض لنا اقتراحى هؤلاء الموحّدين ولا يعترض عليهم أو يُوبّخهم، فقال عزّ مَن قال: (إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً). (۲)

كما يعتبر القرآن الكريم أنّ تعظيمَ «شعائر الله» علامةٌ على التقوى والإيمان. ويقصد القرآن الكريم من شعائر الله علاماتِ دين الله، كالحجر الأسود والصفا والمروة وعرفات والمشعر الحرام والأضحية؛ وبما أنّ أنبياء الله وأولياءه هم أيضاً جزءٌ من شعائر الله، فتعظيمهم فى الحقيقة هو تعظيم لهذه الشعائر.

۱- سورة البقرة، الآية ۱۲۵.

۲- سورة الكهف، الآية ۲۱.

ص: ۴۸

وكـذلك هنـاك أصلٌ أوّليٌّ فى الأحكام الشـرعيّة يُسـمّى «الإباحـة»، بمعنى أنّ الأفعال المتعارفـة بين العقلاء والتى لم ينهَ عنها الشّارع المقـدّس هى جـائزة؛ ولمـّا كـان تعظيم أوليـاء الله من ضـمن هـذه الأفعـال، فيجوز حينها بناء مراقـدهم وتشـييد القبب عليها. (۱) فهذه الإباحـة قـد تجلّت فى سـيرة المسـلمين على مرّ العصور، منـذ عهـد رسول الله إلى يومنـا هـذا، حيث شـيّدوا أضـرحة أوليـاء الله لتكون شاخصةً للناظرين بعمارةٍ إسلاميّةٍ تتناسب ووضعهم الاقتصادى فى كلّ زمنٍ.

ونشير فيما يلى لبعض الأخبار والأحاديث التى وردت فى هذا المضمار:

۱ ـ رُوى عن أنس بن مالك قوله: «إنّ رسول الله أعلم قبر عثمان بن مظعون بصخرةٍ». (۲)

ورُوى عن المطّلب أنّه قال: «لمـّا ماتَ عثمان بن مظعون واُخرج بجنازته فـدُفن، أمرَ النبىّ رجلًا أن يأتيه بحجرٍ، فلم يستطع حمله، فقام إليها رسول الله فحسّر عن ذراعيه ثمّ حملها فوضعها عند رأسه، وقال: اُعلِّم بها قبرَ أخى وأَدفِن إليه من ماتَ من أهله». (۳)

ورُوى عن أبى بكر بن محمّد بن عمرو أنّه قال: «رأيتُ قبرَ عثمان بن مظعون وعنده شىءٌ مرتفعٌ، يعنى كأنّه عَلَمٌ». (۴)

كما رُوى عن ابن شـهاب قوله: «إنّ رسول الله جعل أسـفلَ المِهراس علامةً على قبر عثمان بن مظعون ليدفن النّاس حولَه، فلمـّا استعمل معاوية

۱- سوف نتطرّق للأحاديث التى نهت عن بناء قبور اولياء الله لاحقاً.

۲- سنن ابن ماجه، ج۱، ص۴۹۸.

۳- سنن أبى داوود، ج۲، ص۶۹.

۴- طبقات ابن سعد، ج۳، ص۳۹۷.

ص: ۴۹

مروان بن الحكم على المدينة، حمل المهراس على قبر عثمان». (۱)

۲ ـ رُوی عن أبی جعفر۷ أنّه قال: «إنّ فاطمة كانت تزور قبر حمزة ترمّه وتُصلحه وقد علّمته بحجرٍ». (۲)

۳ ـ عندما تُوفّی رسول الله وُوریَ جثمانه الثرى فی حجرته التی كان لها سقفٌ وجدارٌ، وكذلك فإنّ الخليفتين الأوّل والثّانی قد دُفنا فی هذه الحجرة أيضاً. فإذا كان بناء القبور حرامٌ، لِمَ فعل المسلمون ذلك بنبيّهم وصاحبيه؟! ولماذا لم يهدموا البناء بعد دفنهم؟!

وحُكم بناء القبور واحدٌ، سواء أكان قبل الدفن أم بعده، لأنّ وجود بناءٍ على قبر ميّتٍ دليلٌ على احترامه وتعظيمه. كما نلاحظ أنّ المسلمين لم يهدموا بناء مرقد رسول الله وصاحبيه بعد دفنهم، وعندما انهدم الجدار المحيط بمرقده صلوات الله عليه فی عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز، يذكر لنا التأريخ أنّه أمر ببنائه. (۳) وبقی الأمر على حاله بين المسلمين على مرّ التأريخ إلى أن بُنيَت عليه القبّة الخضراء.

۴ ـ ورد فی المصادر الإسلاميّة المعتبرة أنّ العبّاس بن عبدالمطّلب لمّا تُوفّی دُفن فی دار عقيل (۴)، التی دُفن فيها لاحقاً أربعةٌ من أئمة أهل البيت: هم: الإمام الحسن بن علیّ وعلیّ بن الحسين ومحمّد بن علیّ وجعفر بن محمّد. كما أنّ إبراهيم ابن رسول الله كان قد دُفن فی دار محمّد بن زيد(۵)، وأنّ سعد بن

۱- وفاء الوفاء، ج۳، ص۹۱۴.

۲- المصدر السابق، ص۹۳۲.

۳- طبقات ابن سعد، ج۲، ص۳۰۷.

۴- وفاء الوفاء، ج۳، ص۹۱۰.

۵- المصدر السابق، ص۸۹۳.

ص: ۵۰

معاذ دُفن فی دار ابن أفلج وكانت لمرقده قبّةٌ. (۱)

۵ ـ لم يـذكر أحـدٌ قطّ أنّ المسـلمين قاموا بتخريب قبور الأنبياء فی فلسـطين والشّام بعـد فتحهما، كقبر النبیّ إبراهيم فی مدينـة الخليل وقبور يعقوب ويوسف وداوود وسـليمان فی بيت المقـدس وبيت لحم والتی كـانت جميعهـا مشـيّدةً ببنـاءٍ، وكـذلك سائر قبور الأنبياء والأولياء فی جميع البلاد التی فتحوها. فالخليفة الثّانی الذی كان حاضراً فی فتح بيت المقدس لم يفعل ذلك ولم يأمر به، بل إنّه صلّی فی زاويةٍ من كنيسةٍ واقعةٍ فی بيت لحم ثمّ جعلها مسـجداً وأمر بترميمها وتنظيفها وإنارتها، إذ الزاوية التی صـلّی فيها كانت مدفن النبیّ داوود وابنه سليمان. (۲)

إنّ مـا ذُكر أعلاه ليس سوی عـددٍ يسـيرٍ من الأحـاديث والأخبار بهـذا الشأن، حيث تتمحور جميعها حول جواز بناء وترميم القبور فی عهد رسول‌الله۹ وفی عهد الصـحابة والتابعين. ففی كلّ زمانٍ كان النّاس يبنون الأضرحة ويرمّمونها بحسب استطاعتهم المادّية، كما أنّ اشـتمال قبر نبیٍّ أو ولیٍّ من أوليـاء الله علی جـدارٍ يحيـط به أو سـقفٍ يُغطّيه لم يكن بالأـمر المنكر أو المـذموم، فقـد كـان رسول‌الله۹ والصحابة والتّابعون أنفسهم يقومون بهذا الأمر تعظيماً واحتراماً لهم.

الروايات الناهية عن بناء القبور

ذُكرت فی بعض كتب الحـديث روايات ادُّعیَ أنّها تحرّم بناء قبور الأنبياء والأولياء، وقـد اتّخذها البعضُ دليلًا علی حرمة ذلك. ولكنّ هذه الروايات فی

۱- وفاء الوفاء، ج۳، ص۹۱۵.

۲- معجم البلدان، ج۱، ص۵۲۲.

ص: ۵۱

الحقيقة ضعيفة السند وغير تامّة الدلالة، وقبل أن نخوض فى دراسة سندها ودلالتها، سنذكر عدداً منها فيما يلى:

۱ ـ قال أبو الهيّاج الأسدى أنّ الإمام علىّ بن أبى طالب٧ خاطبه قائلاً: «ألا أبعثُكَ على ما بعثنى عليه رسول الله أنْ لا تدَعْ تمثالاً إلا طمَستَه ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته؟!». (۱)

۲ ـ رَوى أبو الزّبير عن جابر أنّه قال: «نهى رسولُ الله أنْ يُجصّص القبر وأنْ يُقعد عليه وأنْ يُبنى». (۲)

۳ ـ رُوى عن أُم سلمة أنّها قالت: «نهى رسولُ الله أنْ يُبنى على القبر أو يُجصّص». (۳)

هذه الروايات فى الحقيقة تعتبر ضعيفة السند، للأسباب التاليّة:

فى سند الحديث الأوّل رواةٌ تمّ ذمّهم فى كتب الرجال، مثل «وكيع» الذى قال عنه ابن حجر نقلاً عن أحمد بن حنبل بأنّه قد أخطأ فى خمسمائةِ حديثٍ: «وقال فى موضعٍ آخر أخطأ وكيع فى خمسمائة حديثٍ». (۴) ومثل «حبيب بن أبى‌ثابت» الذى قال عنه ابن حجر نقلاً عن أبى حيّان بأنّه يُدلّس الحديث. (۵) كما أنّه لم يُروَ عن أبى الهيّاج حديثٌ غير هذا فى كتب الحديث قاطبةً. (۶)

أما بالنسبة لسند الحديث الثّانى، ففيه رواةٌ غير موثّقين مثل «ابن جريح»

۱- صحيح مسلم، ج۳، ص۶۱.

۲- المصدر السابق، ص۶۲.

۳- مسند أحمد بن حنبل، ج۶، ص۲۹۹.

۴- تهذيب التهذيب، ج۱۱، ص۱۲۵.

۵- المصدر السابق، ج۳، ص۱۷۹.

۶- حاشية السيوطى على سنن النسائى، ج۴، ص۸۹.

ص: ۵۲

الـذى قال عنه الذهبىّ أنّه يُدلّس (۱) ، ومثل «أبى الزبير» الـذى ضـعّفه الذهبى نقلاً عن أبى زرعة وأبى حاتم وقال لا يمكن الاحتجاج بحديثه، ونقل عن آخرين قولهم إنّ أبى الزبير يُدلّس. (۲)

وأمّا سند الحديث الثّالث، ففيه «ابن لُهيعة» الذى قال الذهبىّ أنّه لا يمكن الاحتجاج بحديثه (۳)، كما نقل ضعفه عن ابن معين. (۴)

سوف نغضّ النظر عن ضعف سند هذه الأحاديث لأنّها وردت فى الصّحاح، ونتحدّث عن دلالتها، فنقول:

إنّ حـديث أبى الهيّـاج نـاظرٌ إلى قبور المـشـركين لأنّ تسويـة القبور كانت مصـحوبةً بتحطيم الأصـنام والتماثيل، وكما نعلم ففى عهد رسول الله وفى عهد الصـحابة والتابعين لم يضع المسـلمون أصناماً على قبور موتاهم، بل المشركون هم الذين كانوا يفعلون ذلك ومن ثمّ يعبدونها.

إذن، يخرج الحديث الأوّل من موضوع البحث ولا صلة له بالمدّعى. كما نلاحظ أنّ المسلمين لم يسوّوا قبر رسول الله۹ أو عمر أو أبى بكر، بل شيّدوها على شكل سنام؛ فقد رُوى عن سفيان الثورىّ: «إنّه رأى قبر النبىّ مُسنّماً». (۵) ورُوى عن أبى بكر بن حفص أنّه قال: «كان قبر النبىّ وأبى‌بكر وعمر مُسنّمة وعليها نقَل» (۶)، لذا رأى بعض الفقهاء تسنيم القبر. (۷) طبعاً رجّح

۱- تذكرة الحفّاظ، ج۱، ص ۱۷۰.

۲- المصدر السابق، ص۱۲۷.

۳- المصدر السابق، ص۲۳۹.

۴- ميزان الاعتدال، ج۲، ص۴۷۶.

۵- صحيح البخارى، ج۲، ص۲۱۲.

۶- الطبقات الكبرى لابن سعد، ج۲، ص۳۰۶.

۷- سنن البيهقى، ج۴، ص۴.

ص: ۵۳

البعض تسطيح القبور وهذا بحثٌ آخر.

فالنتيجة أنّ حديث أبی الهيّاج لا يُقصد فيه قبور المسلمين، ولا يدلّ على جواز تخريب البناء المحيط بقبور الأنبياء والأولياء البتّة.

وأمّا الأحاديث التی ورد فيها نهیٌ عن بناء القبور أو تسطيحها بالجصّ فهی تختصّ بقبور عامّة النّاس، إذ قد يكون بناء قبورهم عملاً عديم الفائدة ويكون فيه إسرافٌ؛ ولكن الأمر يختلف بالنسبة لقبور أنبياء الله وأوليائه لما يترتّب عليه من فوائد وأعمالٍ حسنةٍ، فهذا العمل يعتبر تعظيماً لشعائر الله وبياناً لمحبّتهم. وبما أنّ المسلمين قد عملوا بهذه السنّة منذ عهد رسول الله۹ إلى عصرنا الحاضر، فلا يمكن تعميم هذه الأحاديث والأخذ بها كرادعٍ لبناء القبور، حيث ذكرنا أمثلةً على أداء هذه السّنة سابقاً، أبرزها بناء قبر رسول‌الله۹ الذی كان يحيط به جدارٌ وله سقفٌ.

وإذا كان بناء قبور الأنبياء والأولياء محرّماً فی أحكام الإسلام حرمةً قطعيّةً، لما بنى حينها المسلمون قبراً قطّ ولَجرت سيرتهم على ذلك دون ريبٍ؛ ولكنّنا نرى العكس من ذلك، حيث جرت سيرة المسلمين على بناء القبور وترميمها إذا ما اندرست.

المبحث السادس: رثاء أولياء الله والبكاء عليهم

ص: ۵۴

ص: ۵۵

إن لمحبّـهٔ الأولياء نتائـج وآثار إيجابيّـهٔ تنعكس على نفسـيّهٔ الإنسان، والمحبّ لهم حبّاً حقيقيّاً يتّخـذهم قدواتٍ يقتدى بهم فى الإيمان والتقوى والعمل الصّالح، حيث يُقلّدهم فى ذلك ويسعى لأن يلحق بركبهم لينأى عن ركب الشيطان الرّجيم؛ لا سيّما مودّهٔ خير خلق الله محمّـد وآل بيته الطاهرين الـذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وكـذلك الصّـالحين من صحابهٔ رسول الله۹، إذ إنّ التمسّك بهم يرسّـخ الإيمان فى النفس ويزيّن الفضائل الأخلاقيّـهٔ. وأمّا مَن يترك هـذه المودّهٔ فسوف تتزلزل دعائم إيمانه ويحيد عن جادّهٔ الحقّ وينزلق فى مهاوى إبليس وجنده الذين يتربّصون بعباد الله المكائد.

فكلّما ترسّـخت هـذه المودّهٔ فى النفس أكثر، ستكون ثمارها أوفر وأنضـج، وإحـدى علامـات رسوخهـا هى إسالـهٔ دموع الشوق من الناظرَين؛ حيث يتجلّى من خلالهما عشقٌ يجول فى غمار القلب بقطراتٍ تتلألأ على الوجنتين بعد أن شقّت طريقها للنور كالينبوع الذى ينبض بفيضٍ كان ساكناً

ص: ۵۶

فی الأعماق.

فالبکاء عند ذکر خیر خلق الله تعالی دلیلٌ علی رقّة القلب وظرافة الروح وصفاء الباطن. والعبد ببکائه علی ولیٍّ من أولیاء الله یُثبت أنّ هذا الشخّص حقّاً عزیزٌ علی قلبه، وبالطبع سیبذل قصاری جهده لینال رضاه، ومن البدیهیّ أنّ رضا أولیاء الله هو من رضا الله وأنّ حبّهم یعتبر اتّباعاً لما أمرنا به تعالی. لذا، یکون بکاء الإنسان عند ذکر الأولیاء وازعاً لجلاء القلوب وإزالة صدأ الخطایا عنها وسدّاً منیعاً یصونها من الوقوع فی فخّ الشرک والنّفاق، وبالتّالی تترتّب علیه صلابة الإیمان والتمسّک بدین الله بإخلاصٍ وصدقٍ.

إنّ بکاء شخصٍ فی مراسم عزائه أو عند ذکره فی الحقیقة أمرٌ عاطفیٌّ ناشئ عن أحاسیس الإنسان ومشاعره، فعندما یفقد أیٌّ منّا شخصاً عزیزاً علی قلبه فسوف یذرف دموع الحزن علیه دون إرادةٍ؛ سواء أکان هذا العزیز من الأهل والأقارب أم ولیّاً من أولیاء الله الذین هم أعزّ من کلّ قریبٍ.

لذلک نلاحظ أنّ البکاء علی الموتی کان معهوداً فی زمن رسول الله وصحابته وتابعیه. فالنبیّ۹ نفسه قد بکی أُمَّه وابنه وابنته، وکذلک فإنّ صحابته قد بکَوه بعد وفاته کما بکَوا أصحابهم ومقرّبیهم ونعَوهم برثاءٍ حزینٍ، حیث استمرّ هذا الأمر بعدهم وجرت علیه سیرة التابعین والمسلمین تأسیّاً بهم.

ولإثبات ذلک، نذکر فیما یلی بعض الأمثلة علی ذلک:

۱ ـ رُوی عن أبی‌هریرة أنّه قال: «زار النبیّ قبرَ أُمّه فبکی وأبکی مَن حوله» (۱)، ورُوی عن بُریدة أنّه قال: «زار النبیّ قبرَ أُمّه فی ألف مُقنّعٍ فلم یُرَ

۱- صحیح مسلم، ج۳، ص۶۵.

ص: ۵۷

باكياً أكثر من يومَئذٍ». (۱)

۲ـ روى أنس بن مالك حديثاً بشأن وفاة إبراهيم ابن رسول الله ٩، فقال: قال رسول الله: «إنّ العين تدمعُ والقلب يحزنُ ولا نقولُ إلا ما يُرضى ربّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون». (۲)

۳ـ كذلك رُوى عن أنس بن مالك قوله: «شَهِدنا بنتاً لرسول الله، قال: ورسولُ اللهِ جالسٌ على القبرِ، قال: فرأيتُ عينيهِ تدمعانِ».(۳)

۴ـ رُوى عن أُسامة بن زيد حديث يذكر فيه موت ابن بنت رسول الله، فقال: «أرسلتْ ابنَةُ النبيِّ إليه إنَّ ابناً لى قُبِضَ، فأْتِنا...

فقام ومعهُ سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأُبَىُّ بن كَعْبٍ وزيد بن ثابت ورجالٌ، فرُفِعَ إلى رسولِ اللهِ الصَّبِىُّ ونَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ...

ففاضتْ عيناهُ. فقال سعد: يا رسولَ اللهِ، ما هذا؟

فقال: هذه رحمةٌ جعلها اللهُ فى قلُوبِ عبادهِ، وإنَّما يرحَمُ اللهُ من عبادهِ الرُّحَمَاءَ». (۴)

۵ـ رُوى عن ابن عمر أنّه قال: «رجعَ النبىُّ يوم أُحد فسمع نساءَ بنى عبد الأشهل يبكينَ على هلكاهنَّ، فقال: لكن حمزة لا بواكى له! فجئن نساءُ الأنصار يبكين على حمزة عنده». (۵)

۶ـ ذكر الحاكم فى المستدرك: «كانت فاطمةُ تزور قبرَ عمّها كلّ جمعة فتصلّى

۱- مستدرك الحاكم، ج ۱، ص ۳۷۵.

۲- صحيح البخارى، ج ۲، ص ۱۷۹.

۳- المصدر السابق، ص ۱۷۲.

۴- المصدر السابق.

۵- كنز العمّال، ج ۱۵، ص ۶۱۸.

ص: ۵۸

وتبكى عنده». (۱)

۷ـ رُوى عن أبى ذُؤيب الهُذَلى أنّه قال: «قدِمتُ المدينةَ ولأهلها ضجيجٌ بالبكاء كضجيج الحجيج أهلّوا جميعاً بالإحرام، فقلتُ: مَه؟! قالوا: قُبِضَ رسول الله». (۲)

۸ـ رُوى عن عروة أنّ صفيّة بنت عبدالمطّلب أنشدت شعراً ترثى فيه رسول الله ٩، جاء فيه:

ألا يا رسولَ اللهِ كنتَ رخاءنا

وكنتَ بنا برّاً ولم تكُ جافياً

وكانَ بنا برّاً رحيماً نبيّناً

لبيك عليك اليوم مَن كان باكياً

إلى أن قالت:

أرى حسناً أيتمتَه وتركتَه

يبكى ويدعو جدّه اليوم نائياً

فدىً لرسول الله أُمّى وخالتى

وعمّى ونفسى قصره وعياليا (۳)

۹ـ رُوى عن المثّنى بن سعيد أنّه قال: «سمعتُ أنسَ بن مالك يقول: ما مِن ليلةٍ إلا وأنا أرى فيها حبيبى؛ ثُمّ يبكى». (۴)

۱۰ـ رُوى عن زيد بن أسلَم أنّه قال: «خرجَ عمر بن الخطّاب ليلةً يحرُسُ، فرأى مصباحاً فى بيتٍ، فدنا فإذا عجوزٌ تطرقُ شعراً لها لتغزله ـ أى تنفشه بقدح ـ وهى تقول:

على محمّدٍ صلاةُ الأبرارِ

صلّى عليك المصطفَون الأخيارُ

۱- مستدرك الحاكم، ج۱، ص۳۳۷.

۲- كنز العمّال، ج۱۵، ص۲۶۵.

۳- مجمع الزوائد، ج۹، ص۳۹.

۴- طبقات ابن سعد، ج۷، ص۲۰.

ص: ۵۹

قد كنتَ قوّاماً بـكـىَّ الأسحار

ياليـتَ شعـرى والمنايا أطوارُ

هل تجمعنى وحبيبى الأقدار؟!

تعنى النبىّ.

فجلس عمر يبكى، فما زال يبكى حتّى قَرَعَ البابَ عليها، فقالت: مَن هذا؟ قال: عمر بن الخطّاب...». (۱)

۱۱ ـ رَوى عاصم بن محمّد عن أبيه قوله: «ما سمعتُ ابن عمر ذاكراً رسولَ الله إلّا ابتدرتْ عيناهُ تبكيان». (۲)

۱۲ ـ رُوى عن أبى عثمان قوله: «رأيتُ عمرَ لمـّا جاءه نعىُ النعمان، وضعَ يدَه على رأسه وجعل يبكى». (۳)

۱۳ ـ ذكر الطبرى فى تأريخه: «ولمـّا أتى أهلَ المدينةِ مقتلُ الحسـين، خرجتْ ابنةُ عقيل بن أبى طالب ومعها نساؤها وهى حاسـرةٌ تلوى بثوبها وهى تقول:

ماذا تقولون إنْ قالَ النبىُّ لكم

مـاذا فعلتُم وأنتُم آخـرُ الأُمَمِ

بعترتى وبأهلى بعد مُفتقـدى

منهم أُسارى ومنهم ضُرّجوا بدمِ». (۴)

۱۴ ـ رَوى علىّ بن إسماعيل التميمى عن أبيه قوله: «كنتُ عندَ أبى عبد الله جعفر بن محمّد إذ استأذن آذنه للسيد فأمره بإيصاله، وأقعد حَرَمَه خلف سترٍ، ودخلَ فسلّم وجلس. فاستنشده، فأنشده قوله:

أُمرُر على جدَثِ الحسين

فقُلْ لأعظُمِه الزّكيّة

۱- كنز العمّال، ج۱۲، ص۵۶۲.

۲- طبقات ابن سعد، ج۴، ص۱۶۸.

۳- كنز العمّال، ج۱۵، ص۲۲۷.

۴- تأريخ الطبرى، ج۳، ص۳۴۲.

ص: ۶۰

يا أعظُماً، لازلتِ من

وطفاء ساكبة رويّة

قال: فرأيتُ دموعَ جعفر بن محمّد تتحدّر على خدّيه، وارتفع الصّراخ والبكاء من داره». (۱)

عند التأمّل فى هذه النماذج من الأحاديث والأخبار، نلاحظ أنّ رثاء أولياء الله والبكاء عليهم كانا معهودين منذ زمن رسول الله٩ وصحابته وتابعيهم وجرت عليه سيرة المسلمين فى شتّى العصور. فقد صرّح النبىّ٩ بأنّ البكاء على الموتى من علامات الرّحمة ورقّة القلب إذ إنّ الله تعالى هو الذى جعله فى قلوب عباده.

وأمّا بالنسبة للأحاديث التى تتضمّن نهى الرسول عن البكاء على الموتى وأنّ الميّت يتعذّب عندما يُبكى عليه، فيجب القول إنّ رواتها قد أخطأوا فى فهم قصده صلوات الله عليه بشكلٍ صحيحٍ، لأنّه كان يقصد الذين ماتوا على الكفر والشرك، لذلك وردت أحاديث تصحّح هذا الخطأ، كالحديث الذى رواه ابن عباس، حيث قال: «قال عمر: إنّ رسول الله قال: إنّ الميّت يُعذّب ببعضِ بُكاءِ أهله عليه.

قال ابن عبّاس، فلمّا ماتَ عمر ذكرتُ ذلك لعائشةَ، فقالت: رحِمَ اللهُ عمر، والله ما حدّثَ رسول الله أنّ الله ليُعذّب المؤمن ببُكاء أهله عليه، ولكنّ رسول الله قال: إنّ الله ليزيد الكافر عذاباً ببُكاء أهله عليه». (۲)

ورُوى عن عَمْرَة أنّ عائشة عندما سمعت قول عبدالله بن عمر: «إنّ الميّت ليُعذّب ببُكاء أهله عليه»، قالت: «يغفر الله لأبى عبد الرّحمن، أما أنّه لم يكذب،

۱- الأغانى، ج۷، ص۲۶.

۲- سنن النّسائى، ج۴، ص۱۷؛ مثله فى موطّأ مالك، ص۱۹۴.

ص: ۶۱

ولكن نسىَ أو أخطأ؛ إنّما مرّ رسول الله ّعلى يهوديّةٍ يُبكى عليها، فقال: إنّهم ليبكون عليها، وإنّها لتُعذّب». (۱)

فهاذان الحديثان دليلان صريحان يؤكّدان على أنّ مقصود رسول الله من «الميّت» فى قوله بأنّه يتعذّب بسبب البكاء عليه، هو الميّت الكافر أو المشرك وليس المسلم. فكما مرّ علينا فى الأحاديث السابقة أنّه صلوات الله عليه بنفسه قد بكى على أحبّائه من الموتى وقلّده فى ذلك صحابته وتابعوه الذين حذَوا حذْوَه، وراجت هذه السنّة بين المسلمين قاطبةً.

المبحث السابع: طلب الشفاعة من أولياء اللّه

۱- صحيح البخارى، ج۲، ص۱۷۳.

ص: ۶۲

ص: ۶۳

لا ريب فى أنّ الله تبارك وتعالى رؤوفٌ بعباده وأنّ رحمته وسعت كلّ شىء، فأبوابُ رحمته مفتوحةٌ للمطيعين منهم والمذنبين أيضاً. ومن مظاهر رحمة الواسعة ولطفه أنّه هيّأ لهم سُبل بلوغ رحمته الواسعة، فأبواب المغفرة مشرعة للمذنبين بغية خلاصهم من عذابه فى نار جهنّم، ومن تلك الأبواب: التوبة والشّفاعة.

فالتوبة تعنى الندم على ارتكاب الذّنب والعودة إلى الله، والشّفاعة تعنى نيل المغفرة ببركة وساطة أولياء الله الصّالحين، إذ إنّ العبدَ يطلب من خلال هذه الوساطة المغفرةَ من ربّ العزّة والجلالة.

فالشّفاعةُ منزلةٌ عظيمةٌ أكرم الله بها أنبياءه وأولياءه، حيث أذن لهم بالتوسّط لديه طلباً لغفران ذنوب سائر عباده المؤمنين. ولكنّ هذه الشّفاعة ليست مطلقةً بالتأكيد، ولها شروطٌ وضوابط؛ لأنّ كلَّ شخصٍ لا يمكنه نيل الشفاعة، وفى نفس الوقت فإنّه تعالى قد خصّص مقام الشّفاعة لمَن اصطفى

ص: ۶۴

من خلقه، لذا لا يمكن لأىٍّ كان أن يشفع للآخرين دون إذنه تعالى، ففى يوم القيامة سيشفع للنّاس مَن أُذِن لهم فحسب.

أمّا المشركون وعبَدة الأوثان فى عصر ظهور الإسلام فقد كانوا يعتقدون أنّ أصنامهم التى يعبدونها سوف تشفع لهم عند الله، وهذا الانحراف الفكرىّ يختلف عن الشرك فى العبادة. وقد انتقد القرآن الكريم فى بعض الآيات المشركين لأجل شركهم فى العبادة، وفى آياتٍ أُخرى انتقد اتّخاذ الأصنام شفعاء إلى الله، وفى الآية التالية فقد انتقد كلا الأمرين: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِى السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِى الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ). (۱) فالقرآن الكريم فى هذه الآية يتصدّى لعقيدة المشركين الباطلة بكون الأصنام تشفع لهم عند الله، ويؤكّد أنّ الشّفاعة مختصّة بالله وبالذين أذن لهم بها، ومن البديهىّ أنّه تعالى لم يأذن للأصنام التى لا تفقه شيئاً بالشّفاعة عنده، إذ قال عزّ شأنه: (قُل لِله الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ). (۲)

وقال فى آيةٍ أُخرى: (مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ). (۳) فهاتان الآيتان والآية التى سبقتهما تنقض ادّعاء من يدّعى شفاعة الأصنام وتؤكّد على أنّ الله هو الذى يعيّن مَن بإمكانه أن يشفع للنّاس. وقد بيّن لنا رسول الله۹ فى أحاديث كثيرة حقيقةَ هؤلاء الشفعاء الذين أذن لهم ربّ العزّة والجلالة بالشفاعة لعباده، حيث قال فى حديثٍ: «شفاعتى لأهل الكبائر من أُمّتى». (۴)

۱- سورة يونس، الآية ۱۸.

۲- سورة الزمر، الآية ۴۴.

۳- سورة يونس، الآية ۳.

۴- سنن أبى داوود، ج۲، ص۲۷۹.

ص: ۶۵

وقال فی حدیثٍ آخر: «یشفع یوم القیامة ثلاثة: الأنبیاء ثمّ العلماء ثمّ الشهداء». (۱) فبعد أن تبیّن لنا أنّ الأنبیاء والأولیاء من علماء وشهداء وعلی رأسهم صاحب المقام المحمود نبیّ الرحمة، مأذونون من قِبل الله تعالی بالشفاعة لنا، فلا ریب سیکون بمقدورنا التوسّل بهم لیشفعوا لنا عند الباریء عزّ وجلّ. وبالطبع فإنّ الشفاعة کطلب العلم أو السؤال عن الأحکام الشرعیّة أو رجاء الهدایة إلی الطریق الحقّ، وکما أنّ رسول الله معلّمنا وهادینا ومزکّینا، فهو شفیعنا أیضاً إذ باستطاعتنا أن نطلب منه التعلیم والهدایة والتزکیة والشفاعة علی حدٍّ سواء.

فالاستشفاع بالأولیاء فی الحقیقة یعتبر غایةً فی التذلل والخضوع لله الواحد الأحد، فالعبد الذی لوَّثت سریرتَه الآثامُ والذنوبُ لا یری نفسه مرضیّاً عند الله تعالی، إلا أنّه فی نفس الوقت لا ییأس من رحمته الواسعة ولا یُسیء الظنّ بلطفه وکرمه؛ لذا علیه أن یرجو المغفرة والرحمة بواسطة التوسّل بخیر البریّة الذین أُذن لهم بالشفاعة.

ولا یخفی علینا أنّ صحابة رسول الله کانوا یطلبون شفاعته ویرجون منه أن لا ینساهم فی یوم الحشر، وهو برأفته ورقّة قلبه کان یعدهم بالشفاعة فی ذلک الیوم العظیم، کما هو واضح فی الأحادیث التالیة:

۱ ـ روی عوف بن مالک عن رسول الله حدیثاً طویلاً، جاء فیه: «خیّرنی ربّی بین أن یدخل نصف أُمّتی الجنّة بغیر حسابٍ ولا عذاب، وبین الشّفاعة.

قلنا: یا رسول الله، ما الذی اخترت؟

قال: اخترت الشّفاعة.

۱- سنن ابن ماجه، ج۲، ص۱۴۴۳.

ص: ۶۶

قلنا جميعاً: يا رسول الله، اجعلنا من أهل شفاعتك.

قال: إنّ شفاعتى لكلِّ مسلم». (۱)

۲ ـ رُوى عن أنس قوله: «سألتُ النبىَّ أن يشفع لى يوم القيامة، فقال: أنا فاعلٌ.

قلتُ: فأين أطلبك؟

قال: اطلبنى أوّل ما تطلبنى على الصراط». (۲)

۳ ـ روى أبو موسى حديثاً طويلاً ـ عن رسول الله، جاء فيه: «أتانى جبرئيل۷ آنفاً فخيّرنى بين الشّفاعة وبين أن يُغفر لنصف أُمّتى، فاخترتُ الشّفاعة. فنهض القومُ إليه، فقالوا: يا رسول الله، اشفع لنا.

قال: شفاعتى لكم». (۳)

۴ ـ روى معاذ بن جبل وأبو موسى حديثاً عن رسول الله، جاء فيه: «أتانى آتٍ فى منامى فخيّرنى بين أن يدخل نصف أُمّتى الجنّة أو شفاعة، فاخترت لهم الشّفاعة.

فقلنا: إنّا نسألك بحقّ الإسلام وبحقّ الصُّحبة لمّا أدخلتنا فى شفاعتك». (۴)

۵ ـ رُوى عن أنس بن مالك قوله: «دخلَ رجلٌ من دوس يُقال له سواد بن قارب على النبىّ۹ وأنشد شعراً وفى آخره:

فكُنْ لى شفيعاً يومَ لا ذو شفاعةٍ

سِواكَ بمُغنٍ عن سوادِ بن رقاب». (۵)

۱- مجمع الزوائد، ج ۱۰، ص۳۶۹.

۲- سنن الترمذى، ج۴، ص ۶۲۱.

۳- مجمع الزوائد، ج ۱۰، ص۳۶۹.

۴- المصدر السابق، ص۳۶۸.

۵- الإصابة فى تمييز الصحابة، ج۲، ص۹۵.

ص: ۶۷

۶ـ رَوى أبو هريرة حـديثاً طويلاً عن النبىّ ، جاء فيه: «... يـذكر يومَ القيامةِ، إلى أن قال: فيأتون محمّداً فيقولون: يا محمّد، أنت رسول الله وخـاتم الأنبيـاء وقـد غفر الله لـك مـا تقـدّم من ذنبـك ومـا تأخّر؛ اشـفع لنا إلى ربّك، ألا ترى إلى ما نحنُ فيهِ! فأنطَلِقُ فآتِى تحتَ العرشِ، فأقَعُ ساجدًا لربِّى عزَّ وجلَّ ثُمَّ يفتَحُ اللهُ علَىَّ من محامدِهِ وحُسْنِ الثَّناءِ عليهِ شيئاً لم يفتحهُ على أحدٍ قبلى، ثُمَّ يُقالُ يا محمَّدُ ارفَعْ رأسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ». (۱)

۷ـ رَوى شهاب بن أبى شهاب عن خادمٍ للنبىّ قوله: «كان النبىُّ ممّا يقول للخادم: أَلَكَ حاجةً؟

قال: حتّى كان ذات يومٍ، فقال: يا رسول الله حاجتى.

قال: وما حاجتُك؟

قال: حاجتى أن تشفع لى يوم القيامة».

فهذه الأحاديث أمثلةٌ واضـحةٌ تثبت أنّ المسـلمين كانو يطلبون الشـفاعة من رسول الله وهو لم يردعهم قطّ ولم يقل لهم اطلبوا الشفاعة من الله تعالى مباشـرةً، لذا فإنّ طلب الشـفاعة منه صـلوات الله عليه أمرٌ مشـروعٌ وممدوح لأنّ الصحابة كانوا دائماً يرجون ذلك منه. فلو كان يشوب هذا الموضوع شـىءٌ من الشـرك، لما سـمح رسول‌الله۹ لصـحابته أن يطلبوا ذلـك منه ابـداً؛ بـل إنّ الأمر على العكس من ذلك، فقد كان صلوات الله عليه يستجيب لهم ويعدهم بأن يشفع لهم عندالله يوم القيامة. (۲)

وتجدر الإشارة كذلك إلى عدم وجود فرقٍ فى طلب الشفاعة من

۱- صحيح البخارى، ج۶، ص۱۵۸.

۲- مسند أحمد بن حنبل، ج۳، ص۵۰۰.

ص: ۶۸

رسول الله سواء في حياته أم بعد مماته، لأنّ الأحاديث الصحيحة التي تطرّقنا إليها سابقاً قد بيّنت لنا أنّه صلوات الله عليه ناظرٌ إلى أعمال أُمّته بعد مماته وأنّه يسمع كلامهم. وسيرة المسلمين أيضاً قد جرت على طلب الشفاعة منه عند زيارة مرقده الشريف، فنصوص الزيارة التي نقلها علماءُ مختلَف المذاهب الإسلاميّة تحتوي على عباراتٍ يطلب الزائر فيها الشفاعةَ من خاتم أنبياء الله وأكرم خلقه قاطبةً.

المبحث الثامن:الاستعانة بأولياء اللّه تعالى

ص: ۶۹

لا ـ ريب في أنّ الـدّعاء وطلب الحاجـة من الله تعالى من الأسـباب التي تجعل أبواب رحمته مفتوحـة أمام عباده، فالله تعالى سوف يعين مَن دعاه بدفع البلاء عنه وتلبية طلبه، فيشمله برحمته الواسعة وكرمه العظيم. لذلك نلاحظ أنّ جميع الأنبياء وأوصيائهم وسائر أولياء الله ما انفكّوا يتـضرّعون إليه تعالى ويدعونه لقضاء حوائجهم الدنيويّة والأُخرويّة.

لكنّ استجابة الدعاء من قِبل الله تعالى لها ضوابطها وشروطها الخاصّة بها، ومن أجل أن يُستجاب الدعاء سريعاً فلا بدّ من مراعاة آدابٍ وسُـنَنٍ نقلتها لنا كتب الحـديث والأخبار. كما أنّ الزمان والمكان لهما دورٌ في اسـتجابة الـدعاء، فدعاء العبد يوم الجمعة وهو مسـتقبل القبلة أو كائنٌ في حجر إسماعيل ببدنٍ طاهرٍ وبعد أن قام بعملٍ صالح مثلًا، من شأنه أن يزيد من نسبة احتمال استجابة دعائه.

ومن الأُمور التي لها دورٌ هامٌّ في استجابة الدعاء أيضاً، توسّل العبد

ص: ۷۰

بالأنبياء والأولياء وبكلّ مَن له شأنٌ عظيمٌ عند الله وطلبه منهم أن يدعوا اللهَ له کی يقضی حوائجه؛ ففی هذه الحالة سيزداد احتمال استجابة الدعاء بفضل ذوی الفضل عند ربّ العزّة والجلالة.

وينتقد الله تعالی الذين يتكبّرون عن الذهاب إلی رسوله الكريم ليطلب لهم المغفرة من الله تعالی، فقال فی كتابه المجيد: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ). (۱)

ومن جانبٍ آخر، فإنّه تعالی يعِد عباده الذين يذهبون إلی رسوله الكريم كی يدعو اللهَ لهم ويطلب لهم المغفرة منه، بالمغفرة والرحمة، فقال فی كتابه العزيز: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً). (۲)

لذا نلاحظ أنّ صحابة رسول الله كانوا يقصدونه فی حوائجهم الدنيويّة والأُخرويّة من أجل أن يدعو لهم اللهَ لقضائها، ولم يكن صلوات الله عليه يتردّد فی ذلك أو يرفضه، بل كان يستجيب لهم ويدعو ربّه؛ وكانوا أيضاً يلتجئون إلی بعض عباد الله الصالحين فی ذلك. ولإثبات ما ذكرنا، نتطرّق فيما يلی لبعض الأمثلة المقتطفة من المصادر المعتبرة:

۱ ـ رُوی عن أنس قوله: «قالت أُمّی: يا رسولَ الله، خادمك أنَس ادعُ اللهَ له.

قال: اللّهُم أكثرْ مالَه وولدهُ وبارِكْ فيما أعطيتَهُ». (۳)

۲ ـ رُوی عن أنس قوله: «بينَا النبیّ يَخطب يومَ الجمعة فقام رجلٌ فقال:

۱- سورة المنافقين، الآية ۵.

۲- سورة النساء، الآية ۶۴.

۳- صحيح البخاری، ج۸ ص۱۳۵.

ص: ۷۱

يا رسولَ الله، ادعُ الله أن يسقينا. فتغيّمت السماء ومُطرنا». (۱)

۳ـ قال حسّان بن شدّاد أنّ أُمّه وفدتْ إلى النبيّ ، فقالت: «يا رسولَ الله، إنّى وفدتُ إليكَ لتدعو لابنى هذا وأن تجعله كبيراً طيّباً. فتوضّأ من فضل وضوئه ومسحَ وجهَهُ، وقال: اللّهُم بارك ما فيه واجعله كبيراً طيّباً». (۲)

۴ـ رُوى عن طلحة بن عبيدالله قوله: «انطلق رجلٌ ذاتَ يومٍ فنزع ثيابه وتمرّغ فى الرّمضاء ويقول لنفسه: ذوقى نارَ جهنّم، أَجيفةٌ باللّيل وبطّالةٌ فى النّهار؟!

قال فبينَا هو كذلك إذ أبصرَ النبيَّ فى ظلّ شجرةٍ فأتاه فقال: غلبَتنى نفسى.

فقال له النبىّ: أما لقد فُتحتْ لكَ أبوابُ السّماء ولقد باهى الله بك الملائكة، ثمّ قال لأصحابه: تزوّدوا من أخيكم؛ فجعل الرجل يقول: يا فلان ادع لى...». (۳)

۵ـ رُوى عن عمر أنّه قال لأُويس: «استغفر لى.

قال: كيف أستغفر لك وأنت صاحب رسول الله؟!

قال: سمعتُ رسولَ الله يقول: إنّ خير التّابعين رجلٌ يُقال له أُويس». (۴)

إذن، استناداً لما ذُكر من أحاديث أعلاه، يتّضح لنا أنّ طلب العون من أولياء الله، أى طلب العبد منهم كى يدعوا له، يعتبر أمراً جائزاً، بل مستحبّاً بتأييد الآيات المباركة والأحاديث الشريفة.

فنحن عندما نطلب من أولياء الله قضاء حوائجنا الدنيويّة والأُخرويّة، لا نقصد أنّهم يفعلون ذلك مستقلّين وبشكلٍ مباشرٍ، بل نؤمن بأنّهم سيكونون

۱- صحيح البخارى، ج۸، ص۱۳۴.

۲- كنز العمّال، ج۱۳، ص۳۴۹.

۳- حياة الصحابة، ج۳، ص۳۳۶.

۴- المصدر السابق، ص۳۳۷.

ص: ۷۲

وسطاء لنا إلى الله سبحانه وتعالى ويطلبون منه ذلك، وبما أنّ مكانتهم عنده تعالى رفيعةٌ وشأنهم عظيمٌ، فسوف تكون استجابة الدعاء أكثر احتمالاً حبّاً وكرامةً منه عزّ وجلّ لهم.

وكما أنّ طلب العون من الأنبياء والأولياء جائزٌ في حياتهم، فهو جائزٌ أيضاً بعد مماتهم؛ إذ كما هي عقيدة المسلمين الصحيحة فإنّ الأرواح، ولا سيّما الأرواح الزكيّة لعباد الله الصالحين والشهداء، حيّةٌ في عالم البرزخ، وهم ربّما يدركون حقائق الدنيا مثلنا أو أفضل منّا، وكذلك بإمكانهم الاطّلاع على أعمالنا وسماع كلامنا وإدراك ما نطلبه منهم. حيث يقول تعالى في كتابه الكريم عن الذين قُتلوا في طريق الحقّ: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ). (۱)

وهناك أحاديث كثيرةٌ تدلّ على أنّ الأموات، لا سيّما الأنبياء والأولياء، لهم شعورٌ وإدراكٌ، إذ يُدركون الحقائق أكثر منّا، وأنّ صلتهم بالأحياء لم تنقطع؛ بل سنلاحظ كذلك أنّ صلتهم بأبدانهم المدفونة في الأرض لم تنقطع أيضاً. فيما يلي بعضٌ من هذه الأحاديث:

۱ ـ رُوي عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ۹ قال: «إذا وُضِعتْ الجنازةُ فاحتملَها الرّجالُ على أعناقهم، فإنْ كانت صالحةً قالت: قدّموني؛ وإنْ كانت غير صالحةٍ قالت: يا ويلَها، أين يذهبون بها! يسمع صوتها كلّ شيءٍ إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصُعِق». (۲)

۱– سورة آل عمران، الآيتان ۱۶۹ ـ ۱۷۰.

۲– صحيح البخاري، ج۲، ص۲۰۷.

ص: ۷۳

۲ ـ روى أنس عن رسول الله ۹ قوله: «العبدُ إذا وُضِع فى قبره وتولّى وذهب أصحابه حتّى أنّه ليسمع صوتَ قرعِ نعالهم». (۱)

۳ ـ قال عمرو بن حزم: «رآنى رسول الله مّتّكئاً على قبرٍ، فقال: لا تُؤذِ صاحبَ هذا القبر». (۲)

۴ ـ قال عروة أنّ رجلًا وقع فى عليٍّ بمحضرٍ من عمر، فقال عمر: «تعرف صاحبَ هـذا القبر محمّـد بن عبـد الله بن عبد المطّلب، وعليّ بن أبى طالب بن عبدالمطّلب؛ لا تذكر عليّاً إلا بخيرٍ فإنّك إنْ آذيته آذيت هذا فى قبره». (۳)

۵ ـ رَوى عبدالله بن عمر أنّ رسول الله ذكر فتان القبر، فقال عمر: «أَتُرَدُّ علينا عقولُنا يا رسول الله؟ فقال رسول الله: نّعم كهيئتك اليوم». (۴)

۶ ـ رُوى عن أبى هريرة أنّ رسول الله قال: «ما من عبدٍ يمرّ بقبرِ رجلٍ يعرفه فى الدنيا فيُسلّم عليه إلا عرِفه وردّ عليه السلام». (۵)

۷ ـ قالت عائشـة: «كنتُ أدخلُ بيتى الذى فيه رسول الله وأبى، فـأضعُ ثوبى وأقولُ إنّمـا هو زوجى وأبى. فلمّا دُفن عمر معهم، فوَ اللهِ ما دخلتُه إلا وأنا مسدودة على ثيابى». (۶)

۸ ـ رَوى عبـدالله بن مسـعود عن رسول الله قوله: «حياتى خيرٌ لكم، تُحـدِّثونَ وتحدث لكم ووفاتى خيرٌ لكم، تُعرَض علىَّ أعمالُكم فما رأيتُ

۱- صحيح البخارى، ج۲، ص ۱۹۰.

۲- نيل الأوطار، ج۴، ص۸۷.

۳- كنز العمّال، ج۱۳، ص۱۲۳.

۴- الترغيب والترهيب، ج۴، ص ۱۳۲.

۵- كنز العمّال، ج۱۵، ص۶۴۶.

۶- مجمع الزّوائد، ج۹، ص۳۷.

ص: ۷۴

من خيرٍ حمدتُ اللَّه عليه، وما رأيتُ من شرٍّ استغفرت اللَّه لكم». (۱)

نستوحى من هذه الأحاديث أنّ الإنسان بعد الموت لا يفقد إحساسه أبداً، بل إنّه يصبح أكثر إدراكاً للأمور، إذ يُدرك أشياءً لم يكن باستطاعته إدراكها إبّان حياته. فهو يسمع صوت قرع أقدام النّاس ويرى مَن يجلس على قبره، حتّى أنّه يتألّم مِن الكلام المسىء له؛ فهذه الأُمور لا يمكن للإنسان الحىّ أن يُدركها بالطبع.

وبالنسبة للآيات التى تنفى سماع الموتى لبعض الكلام، مثل قوله تعالى: (إِنَّکَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى) (۲)، وقوله تعالى: (مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِى الْقُبُورِ) (۳) فهى فى الحقيقة تعنى «الكفّار»، أى تُشبّههم بالموتى؛ وليس المقصود أنّ الموتى لا يسمعون كلام رسول الله٩، بل إنّهم لا يستطيعون إجابته كونهم فى عالمٍ آخر، وهذا هو حال الكفّار الذين يسمعون كلام رسول الله ولا يمتثلون لإجابته.

فالاحاديث التى ذكرناها تُثبت لنا أنّ الموتى ينظرون ويسمعون ويُدركون أفعال الأحياء؛ لا سيّما الأولياء والأنبياء، كنبيّنا الكريم محمّد بن عبد الله الذى يُشرف على أعمال أُمّته، أو الشّهداء الذين يُبشّرون مَن لم يلحَق بهم من المؤمنين بما عند الله من خيرٍ وعطاءٍ.

فهذه الكرامة لأرواح أولياء الله تجعل من استعانة العبد بهم لا تختلف عن استعانة مَن استعان بهم فى حياتهم المباركة، لذلك لم يترك الصحابة والتابعون الاستعانة برسول الله بعد وفاته، كما جاء فى المصادر الإسلاميّة المعتبرة. وفيما يلى أمثلة على ذلك:

۱- مجمع الزّوائد، ج۹، ص۲۴.

۲- سورة النّمل، الآية ۸۰.

۳- سورة فاطر، الآية ۲۲.

ص: ۷۵

۱ ـ رَوى عثمـان بن حُنَيف: «أنّ رجلاًـ كـان يختلفُ إلى عثمان بن عفّان فى حاجـةٍ له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظُر فى حاجته. فلقىَ ابنَ حُنيف فشـكا ذلـک إليه، فقـال له عثمـان بن حُنيف : ائت الميضأة فتوضّأ، ثمّ ائت المسـجد فصلّ فيه ركعتين، ثمّ قُل: «اللّهم إنّى أسألُک وأتوجّه إليک بنبيّنا محمّدٍ نبّىّ الرحمة، يا محمّد إنّى أتوجّه بک إلى ربّى فتقضـى لى حاجتى»؛ وتذكُر حاجتَک». (۱)

۲ ـ رُوى أنّ بلال بن حرْث جاء إلى قبرِ النبىّ، فقال: «يا رسولَ الله استسق لأُمّتک فإنّهم هلَكوا». (۲)

وجاء فى بعض الأحاديث المرويّة عن رسول الله أنّه قـد أمر أصـحاب الحوائـج أن يطلبوا العون من أولياء الله تعالى، كما فى الحديثين التاليين:

۱ ـ رَوى عبـد الله بن مسـعود عن رسول الله قوله: «إذا انفلَتَتْ دابّةُ أحدكم بأرض فلاة فليُنادِ: يا عباد الله احبسوا علىَّ يا عباد الله احبسوا علىَّ، فإنّ للهِ فى الأرضِ عباداً سيحبسه عليكم». (۳)

۲ ـ رَوى عتبـة بن غزوان عن رسـول الله قوله: «إذا أضـلّ أحـدُكم شـيئاً أو أراد عونـاً وهو بـأرضٍ ليس فيهـا أنيسٌ، فليَقُـل: يـا عبـاد الله أعينونى أو أغيثونى، فإنّ للهِ عباداً لا نراهم». (۴)

إذن، استـناداً لكلّ ما ذُكر من أحاديث وأخبار يتأكّـد لنا أنّ طلب العون من الأنبياء والأولياء ودعاءَهم سواء فى حياتهم أم فى مماتهم، أمرٌ جائزٌ ومستحبٌّ دون أدنى شكٍّ.

المبحث التاسع: الاحتفاء بذكرى ولادة أولياء اللّه وشهادتهم

۱- المعجم الكبير للطبرانى، ج۹، ص۱۸.

۲- وفاء الوفاء، ج۴، ص۱۳۷۴.

۳- المعجم الكبير للطبرانى، ج۱۰، ص۲۶۷.

۴- مجمع الزوائد، ج۱۰، ص۱۳۲.

ص: ۷۶

ص: ۷۷

إنّ الاحتفاء بذكرى ولادة الأنبياء والأولياء أو شهادتهم، وكذلك الشهداء والصّديقين وأنصار دين الحقّ من المتّقين، أمرٌ من شأنه أن يُرسّخ الإيمان بالله تعالى فى النفس وله تأثيرٌ كبيرٌ على نفسيّة الإنسان وخُلُقه. فإحياء ذكرى هؤلاء الأطهار والتأكيد على الاقتداء بسيرتهم الحميدة يحفّز العبد على التمسّک بدينه وينمّى فيه روح التقوى والإيثار والجهاد فى سبيل الله تعالى، إذ سيُدرک من خلال ذلک السبب الذى جعل من هؤلاء الأعاظم قدوةً للبشريّة وسيعلم كيف نالوا درجة القرب إلى بارئ الخلائق جلّ وعلا، فيحاول أن يُقلّدهم ويحذوا حذوَهم ليهتدى إلى سواء السّبيل، وذلک استجابةً لما أراده ربّ العزّة والجلالة من عباده، إذ قال: (أُوْلَئِکَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ). (۱)

فقد أمر تعالى نبيَّه الكريم فى آياتٍ عديدةٍ من كتابه الكريم بأن يتّبع سيرةَ

۱- سورة الأنعام، الآية ۹۰.

ص: ۷۸

الأنبياء السّابقين وعباده الصّالحين وأن يـذكرهم دائماً لأنّ ذكرهم يقوّى القلب، فقال: (وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً). (۱) وقال فى آيـةٍ أُخرى: (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى الْأَيْدِى وَالْأَبْصَارِ). (۲) وكـذلك قال فى آيةٍ أُخرى: (وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنْ الْأَخْيَارِ). (۳)

فـذكر الأنبيـاء والأوليـاء الـذى أمرنـا به ربّ العزّة والجلالـة، من شـأنه أن يُصـفّى قلوبَنا ويُرسّـخ إيماننا، وبالتأكيـد فإنّه يعتبر سـدّاً منيعاً للموحّـدين يصـدّ عنهم غبَش المعتقدات الواهية التى يزرعها الشيطان فى نفوس مَن أضـلّهم بغيّه ووسوسـته. والاحتفاء بذكرى هؤلاء الأطهار فى الحقيقـة يعنى احترام كرامـة الإنسان وكافّة القيَم الدينيّة والأخلاقيّة، إذ إنّهم علّموا البشـريّة الوقوف بوجه الشّرك والظّلم والجهل، وشـجّعوا النّاس على الـدعوة للتوحيد والعدل والفضائل الخلُقيّة؛ فقد كانوا روّاد هذه القيَم السّامية ودُعاة الحقّ بكلّ ما للكلمة من معنى. لـذلك علينا أن لا ننسـى ذكرَهم، لا سـيّما فى أيّام ذكراهم، كأيّام ولادتهم أو وفاتهم، حيث نحتفل بها ونجتمع فى مجالس يُحبّهـا الله تعالى فنـذكر فضائلهم وكراماتهم والأسباب التى جعلتهم مقرّبين منه تعالى، فنحاول أن نحـذو حـذوهم ونسير على نهجهم المستقيم ونجدّد عهدنا معهم ونثبت لهم بأنّنا معهم لا مع إبليس وأعوانه.

وقد خاطب الله تعالى نبيّه موسى بن عمران وطلب منه أن يُذكّر بنى

۱- سورة مريم، الآية ۴۱.

۲- سورة ص، الآية ۴۵.

۳- سورة ص، الآية ۴۸.

ص: ٧٩

إسرائيل بأيّامه تعالى، فقال: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ).(١) يقول المفسّرون إنّ المقصود من «أيّام الله» فى هذه الآية هى الأيّام التى أنعم الله فيها على بنى إسرائيل نِعماً عظيمةً، كإنقاذهم من فرعون وشقّ البحر لهم وإنزال المنّ والسلوى عليهم وما إلى ذلك من معجزاتٍ عظيمةٍ؛ وكذلك الأيّام التى حدثت فيها وقائع هامّة على سائر الأُمَم، كما حلَّ بقوم نوحٍ وعادٍ وثمودٍ.

لذا، فتذكير النّاس بالأيّام التى وقعت فيها حوادث هامّة أو الأيّام التى أنعم الله بها على عباده نِعماً عظيمةً، يعتبر من مهامِّ أنبياء الله التى كُلّفوا بها لِما فى ذلك من اعتبارٍ وتذكيرٍ بفضل الله على العالمين وبيانٍ لعاقبةِ جند الشيطان الرّجيم.

ومن بين هذه الأيّام العظيمة فى تأريخ البشريّة والتى غيّرت مسار تأريخ البشريّة قاطبةً وانتشلت عباد الله من غياهب الظلمة والانحطاط، بعثة نبيّنا الكريم٩ وكذلك فإنّ يوم ولادته بالتأكيد سيكون من الأيّام المباركة أيضاً فنحتفل به، وأمّا يوم وفاته فهو يومٌ حزينٌ بين المسلمين، وتعساً لِمَن لا يحزن فيه على فقدان الأرض حبيب الله وخيرته على خلقه.

وبالتّالى فإن ذكرى ولادة أو وفاة أوصياء رسول الله من بعده وذكرى سائر أولياء الله الصالحين هى من أيّام الله العظيمة أيضاً، لأنّهم واصلوا طريق نبيّنا الكريم ودافعوا عن دينه بكلّ ما لديهم من قدرةٍ، فذكراهم هى تذكيرٌ بـ«أيّام الله». إذن، سيكون اجتماع المؤمنين فى مجالس ذكرى ولادة أو وفاة الأنبياء والأولياء لذكر مناقبهم ومآثرهم والتأسّى بسيرتهم الحميدة، عملاً

١- سورة إبراهيم، الآية ٥.

ص: ۸۰

مشروعاً وامتثالاً لأمرِ الله تعالى لأنّه تذكير بـ«أيّام الله».

وقد أمرَنا رسولنا الكريم بذكر محاسن الموتى وأعمالهم الصّالحة، خصوصاً الأنبياء والأولياء حسب ما يفيده الحديثان التاليان:

۱ ـ رَوى ابن عمر عن النبيّ قوله: «أُذكروا محاسنَ موتاكُمْ». (۱)

۲ ـ رَوى معاذ عن رسول الله قوله: «ذكرُ الأنبياءِ عبادةٌ وذكرُ الصّالحينَ كفّارةٌ وذكرُ الموتِ صدَقةٌ». (۲)

فالآيات والأحاديث التي ذكرناها هنا تشير إلى أنّ ذكر الأنبياء والأولياء من مرضاة الله تعالى وجائزٌ بلا أدنى ريبٍ كونه أشبه بالعبادة، وكلّما كان بآدابٍ خاصّةٍ وإجلالٍ أكبر، كان أفضل. ومن الطرق التي تذكّرنا بهم: الاحتفاء بذكرى ولادتهم أو وفاتهم في مجالس تتجلّى فيها الفرحة يومَ ولادتهم وتطغى فيها مظاهر الحزن يومَ وفاتهم، إذ تُزيَّن هذه المجالس بذكر فضائلهم وسيرتهم الحميدة التي كانت محض طاعةٍ لربّ العزّة والجلالة.

فهي مجالس تُتيح لنا أن نكرّم هؤلاء الأخيار ونعلن لهم شكرنا وتقديرنا لما قدّموه لنا وللبشريّة قاطبةً من خدماتٍ، إذ بفضلهم اهتدينا وسلكنا طريق الحقّ واجتنبنا طريق الباطل، وقد أفنَوا حياتهم من أجل أن يوصلونا إلى برّ الأمان من خلال إعلاء كلمة التوحيد. وكذلك فإنّ جميع فطاحل التأريخ من علماء موحّدين وجميع المؤمنين بالله تعالى، قد استمدّوا ما لديهم من معارف وتقوى عبر اتّباع تعاليم أنبياء الله وعباده الصالحين والاقتداء بهم.

المبحث العاشر: كرامات أولياء اللّه

اشارة

۱- كنز العمّال، ج ۱۱، ص ۴۷۷.

۲- سنن الترمذي، ج ۳، ص ۳۳۹.

ص: ٨١

خلق اللهُ الحكيمُ القـديرُ الكونَ على أسـاس نظـام دقيقٍ ومنسّقٍ حسبَ علـل وقوانين ظريفـة يعجز العقـل عن إدراك كُنهها. فدقّـة هـذا النظام متناهيةٌ لدرجة أنّ أىّ مخلوقٍ، حقيراً كان كالذّرة أو عظيماً كالفلك الذى تسبح

فيه النجوم، لا يمكن أن يخرج عنه بوجهٍ، وبالتّالى فإنّ كلّ شـىءٍ تابعٌ لهذا النظام ومذعنٌ له. ولكنّ دقّة وتناسب هذا النظام لا تعنى أنّ يد الله مغلولة، كما تفوّه به اليهود، إذ ادّعَى هؤلاء المنحرفون أنّ الله

ص: ٨٢

تعالى قد هُزم من قِبل النظام الذى وضعه بنفسه فلا يستطيع أن يلغيه! ولكن حاشى لله من ذلك، فهو على كلّ شىء قدير ولا يُعجزه أمرٌ لا فى السماء ولا فى الأرض. وإلغاء هذا النظام أو نقض العلل والقوانين أمرٌ يسيرٌ بالنسبة له؛ فهذه العلل والقوانين الظاهريّة كافّةً تستبطن فى داخلها قدرة الربّ اللامحدودة والتى تشمل كلّ شىء.

فالمعجزات والأفعال الخارقة لقوانين الطبيعة التى جاء بها أنبياء الله تعالى على مرّ العصور، والتى كانت تتناسب مع أوضاع قومهم وزمانهم، هى إحدى الموارد التى تتجلّى فيها قدرة ربّ العزّة والجلال، حيث يُدرك النّاس من خلالها صدق رسالة النبىّ المرسل إليهم فضلاً عن إدراكهم كون القدرة المطلقة مختصّة بالله تعالى فحسب. والحقّ أنّ هذه الفضيلة لا تختصّ بأنبياء الله فقط، بل إنّ بعض أولياء الله وعباده الصالحين قد كرّمهم الله بقدرةٍ على القيام بأعمالٍ خارج إطار الأسباب والقوانين الطبيعية سُمّيت بـ «كرامات».

فمنشأ كرامات أولياء الله هو الإيمان والتقوى والمواظبة على أداء الفرائض والنوافل التى تقرّب العبد من ربّه وتجعله محبوباً لديه، وعندما يصل العبد إلى هذه الدرجة من القرب الإلهى فكلّ جوارحه سوف تفعل ما يُحبّه الله تعالى ويرضاه، كما جاء فى هذا الحديث القدسى: قال رسول الله ٩ إنّ الله سبحانه وتعالى قال: «ما يزالُ عبدى يتقرّبُ إلىَّ بالنّوافلِ حتّى أُحبّه، فإذا أحبَبتُه كنتُ سمعَه الذى يسمعُ به وبصرَهُ الذى يبصرُ به ويدهُ التى يبطشُ بها ورجلَهُ التى يمشى بها». (١)

وكما أنّ القرآن الكريم ذكر بعض معجزات الأنبياء، فقد بيّن أيضاً بعض كرامات الأولياء وأعمالهم التى يعجز سائر النّاس عن القيام بها. ولا نرى بأساً فى أن نذكر بعضاً منها فيما يلى:

١ ـ قصّة آصف بن برخيا وزير النبىّ سليمان٧

(قَالَ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِى عِندَهُ

١- صحيح البخارى، ج٨، ص١٨٩.

ص: ۸۳

عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنـدَهُ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَأَشْـكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِيٌّ كَرِيمٌ). (۱)

۲ ـ قصّة السيّدة مريم أمّ النبيّ عيسى۷

(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ). (۲)

۳ ـ قصّة أصحاب الكهف

(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً). (۳)

كذلك فإنّ الأحاديث الشريفة والأخبار تتضمّن الكثير من الأمثلة على كرامات أولياء الله وكبار صحابة رسول الله نذكر فيما يلى عدداً منها:

۱ـ «إنّ عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريّين ثمّ السلميّين كانا قد حفر السّيلُ قبرهما وكان قبرهما ممّا يلى السّيل وكانا فى قبرٍ واحدٍ وهما ممّن استشهد يوم أُحد فحُفِر عنهما ليُغيّر من مكانهما، فوُجَدا لم يتغيّرا كأنّهما ماتا

۱- سورة النمل، الآيات ۳۸، ۳۹، ۴۰.

۲- سورة آل عمران، الآية ۳۷؛ وكذلك الآيات ۲۲ إلى ۲۶ فى سورة مريم.

۳- سورة الكهف، الآيات ۹، ۱۲.

ص: ۸۴

بالأمسِ، وكان أحدُهما قد جُرِحَ فوضعَ يدَه على جرحهِ فدُفِنَ وهو كذلك، فأُميطتْ يدُهُ عن جرحهِ ثمّ أُرسلتْ فرجعتْ كما كانت. وكان بين أُحد وبين يوم حُفِرَ عنهما ستٌّ وأربعون سنةً». (۱)

۲ ـ قال زاذان أنّ الإمام عليّ بن أبی طالب حدّث بحديثٍ فكذّبه رجلٌ، فقال له: «أدْعُو عليكَ إنْ كنتَ كاذِباً.

قال: اُدعو.

فدَعا عليه، فلم يبرح حتّى ذهبَ بصرُه». (۲)

۳ ـ رُوی عن محمّد بن شرحبيل قوله: «اقتبضَ إنسانٌ من تُرابِ قبرِ

سعيد بن معاذ ففتحها فإذا هی مسكٌ، قال رسول الله: سبحان الله، سبحان الله، حتّى عُرِفَ ذلك فی وجههِ». (۳)

۴ ـ رُوی عن عائشة قولها: «لمّا ماتَ النّجاشيُّ، كنّا نتحدّثُ أنّه لا يزالُ يُرى على قبرهِ نورٌ». (۴)

۵ ـ رُوی عن سعيد بن عبدالعزيز قوله: «لمّا كان أيّام الحَرّة لم يُؤذَّن فی مسجد رسول الله ثلاثاً ولم يُقَم ولم يَبرَح سعيد بن المسيّب من المسجد وكان لا يعرف وقت الصّلاة إلا بهمهمةٍ يسمعُها من قبر النبیّ». (۵)

۶ ـ رُوی عن سعيد بن جُبير قوله: «ماتَ ابن عبّاس بالطّائفِ فشهِدتُ جنازتَه فجاءَ طيرٌ لم يُر على خلقته ودخل فی نعشهِ، فنظرنا وتأملناه هل يخرُج،

۱- موطّأ مالك، ص۳۸۴.

۲- مجمع الزوائد، ج۹، ص۱۱۶.

۳- كنز العمّال، ج۱۳، ص۴۱۲.

۴- الإصابة، ج۱، ص۱۱۷.

۵- سنن الدارمی، ج۱، ص۴۴.

ص: ۸۵

فلم يُرَ أنّه خرج من نعشهِ». (۱)

۷ ـ رَوى ابن عبّاس عن رسول الله قوله: «إنّ جعفر مرّ مع جبرئيل وميكائيل له جناحانِ عوّضه الله من يديه فسلّم، ثمّ أخبرنى كيف كان أمرُه حيثُ لقى المشركين». (۲)

۸ ـ رُوى عن أبى هريرة قوله: «كان الحسين عند النبىّ فى ليلةٍ ظلماء، وكان يُحبّه حبّاً شديداً، فقال: أذهب إلى أُمّى.

فقلتُ: أذهبُ معه يا رسول الله؟

قال: لا، فجاءت برقةٌ من السّماء، فمشى فى ضوئها حتّى بلغَ أُمّه». (۳)

۹ ـ رُوى عن الزهرىّ قوله: «لمـّا قُتل الحسين بن علىّ لم يرفع حجَر فى بيتِ المقدس إلا وجدَ تحته دمٌ عبيطٌ». (۴)

۱۰ ـ رُوى عن حاجبِ عبيدالله بن زياد قوله: «دخلتُ القصرَ خلفَ عبيدالله بن زياد حين قُتل الحسين، فاضطرم فى وجههِ نار، فقال هكذا بكمّه على وجهه، فقال: هل رأيتَ؟ قلت: نعم فأمرنى أن أكتمَ ذلك». (۵)

وهذه مجرّد أمثلةٍ يسيرةٍ، ونظائرها كثيرةٌ جدّاً فى كتب التأريخ والحديث وسائر الكتب.

وممّا لا شكّ فيه أنّ كافّة الأحاديث والآيات التى ذكرناها تؤكّد أنّ الله تعالى قد أولى أولياءه وعباده الصّالحين لطفاً خاصّاً ومنحهم كراماتٍ

۱- مستدرك الحاكم، ج۳، ص۵۴۳.

۲- مجمع الزوائد، ج۹، ص۲۷۲.

۳- حياة الصحابة، ج۳، ص۶۱۸.

۴- المعجم الكبير للطبرانى، ج۳، ص۱۲۰.

۵- مجمع الزوائد، ج۹، ص۱۹۶.

ص: ۸۶

لا يستطيع سائر البشر الإتيان بها، أو أنّه تقديراً لهم قد أرى النّاس آياتٍ باهراتٍ من أجلهم. وبما أنّ المعجزات من مختصّات الأنبياء وتعتبر أدلّة دامغة على صحّة نبوّتهم، فإنّ الكرامات أيضاً علامات على عظمة أولياء الله وتعتبر أدلّة دامغة على رفعتهم وقربهم من ربّ العزّة والجلالة.

مصادر الكتاب

ص: ۸۷

* القرآن الکریم.

۱. الإصابة فی تمییز الصحابة، أحمد بن علیّ بن محمّد بن حجر العسقلانی، بیروت، دار الکتاب العربیّ، بدون تأریخ.

۲. الأغانی، أبو الفرج الأصفهانی، بیروت، دار الکتب العلمیّة، ۱۴۰۷ه.ق.

۳. تأریخ الأُمم والملوک، أبو جعفر محمّد بن جریر الطبری، بیروت،

دار الکتب العلمیّة، ۱۴۰۸ه. ق.

۴. تأریخ بغداد، أبو بکر أحمد بن علیّ الخطیب البغدادی، أوفسیت بیروت، دارالکتب العلمیّة، بدون تأریخ.

۵. تذکرة الحفّاظ، أبو عبدالله شمس الدین محمّد الذهبی، بیروت،

دار الکتب العلمیّة، بدون تأریخ.

۶. الترغیب والترهیب، حافظ زکی الدین المنذری، بیروت، دار الفکر، ۱۴۰۸ه. ق.

۷. تهذیب تأریخ دمشق، علیّ بن الحسن المعروف بابن عساکر، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، ۱۴۰۷ه. ق.

ص: ۸۸

۸. تهذیب التهذیب، أحمد بن علیّ بن محمّد ابن حجر العسقلانی، بیروت، دار الفکر، ۱۴۰۴ه .ق.

۹. تفسیر جامع البیان، أبوجعفر محمّد بن جریر الطبری، بیروت، دار الفکر، ۱۴۰۸ه. ق.

۱۰. حلیهٔ الأولیاء، الحافظ أبو نعیم الأصفهانی، بیروت، دار الکتب العلمیّهٔ، ۱۴۰۹ه. ق.

۱۱. حیاهٔ الصحابهٔ، محمّد یوسف الکاندهلوی، بیروت، دار المعرفهٔ، ۱۴۰۶ه. ق.

۱۲. الدرّ المنثور فی التفسیر بالمأثور، عبدالرحمن جلال الدین السیوطی، بیروت، دار الفکر، ۱۴۰۳ه. ق.

۱۳. سنن ابن ماجه، أبو عبدالله محمّد بن یزید القزوینی المعروف بابن ماجه، تحقیق محمّد فؤاد عبدالباقی، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، ۱۳۹۵ه.ق.

۱۴. سنن أبی داوود، أبو داوود سلیمان بن أشعث السجستانی، بیروت، دار الکتاب العربی، بدون تأریخ.

۱۵. سنن الترمذی، أبو عیسی محمّد بن عیسی الترمذی، تحقیق أحمد محمّد شاکر، بیروت، دار إحیاء التراث العربی.

۱۶. سنن الدارمی، أبو محمّد عبدالله بن بهرام الدارمی، القاهرهٔ، دار الفکر، ۱۳۹۸ه. ق.

۱۷. سنن الدارقطنی، علیّ بن عمر الدارقطنی، بیروت، عالم الکتب، ۱۴۰۶ه. ق.

ص: ۸۹

۱۸. السنن الکبری، أبو بکر أحمد بن حسین البیهقی، أوفسیت بیروت، دارالمعرفة.

۱۹. سنن النّسائی، أبو عبدالرحمن النّسائی، بیروت، المکتبة العلمیّة، بدون تأریخ.

۲۰. صحیح البخاری، أبو عبدالله محمّد بن إسماعیل البخاری، بیروت، عالم الکتب، ۱۴۰۶ه. ق.

۲۱. صحیح مسلم، مسلم بن الحجاج، القاهرة، مکتبة محمّد علیّ صبیح، بدون تأریخ.

۲۲. الصواعق المحرقة، أحمد بن المکّی، القاهرة، مطبعة المیمنیّة، ۱۳۱۲ه.ق.

۲۳. الطبقات الکبری، عبد الله محمّد بن سعد، بیروت، دار صادر، ۱۳۷۷ه. ق.

۲۴. فتوح الشّام، أبو عبدالله محمّد بن عمر الواقدی، بیروت، دار الجیل، بدون تأریخ.

۲۵. کنز العمّال، علاء الدین المتّقی الهندی، بیروت، مؤسّسة الرسالة، ۱۴۰۹ه. ق.

۲۶. مجمع الزوائد، نور الدین علیّ بن أبی بکر الهیثمی، بیروت، دار الکتاب العربی، ۱۴۰۲ه. ق.

۲۷. المستدرک علی الصحیحین، الحافظ أبو عبدالله محمّد الحاکم النیسابوری، بیروت، دارالفکر، ۱۳۹۸ه. ق.

۲۸. المسند، أحمد بن حنبل، أوفسیت بیروت، دارالفکر، بدون تأریخ.

۲۹. معجم البلدان، شهاب الدین یاقوت الحموی، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، ۱۳۹۹ه. ق.

ص: ۹۰

۳۰. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى، بغداد، وزارة الأوقاف، ۱۳۹۹ه. ق.

۳۱. الموطّأ، مالك بن أنس، بيروت، دار الفكر، ۱۴۰۷ه. ق.

۳۲. ميزان الاعتدال، أبو عبدالله شمس الدين محمّد الذهبى، بيروت، دارالمعرفة، ۱۳۸۲ه. ق.

۳۳. نيل الأوطار، محمّد بن علىّ الشوكانىّ، القاهرة، دارالحديث.

۳۴. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، نورالدين علىّ بن أحمد السمهودى، أوفسيت بيروت، دار إحياء التراث العربى، ۱۴۰۱ه. ق.

ص: ۹۱

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.